[Saint John Chrysostom. De sacerdotio ...

De sacerdoce, ancienne Version Arabe, pub. d'après le MS. unique par Constantin Bacha; i.e. Ḳusṭanṭin Bāshā.]

Beyrouth - 1905

الكهنوت

لابينا المعظم في القديسين الفائقة قداسته في الآباء
الروحانيين والفلاسفة الشرعيين الذهبي فمه المشارك
السيد المسيح في آلامه والمحقق تعاليمه واقواله باعماله
بطريرك القسطنطينية ومعلم المسكونة قولاً وعملاً
☙ يوانيس الانطاكي ❧

عني بطبعه
الفقير اليه تعالى
الخوري قسطنطين الباشا
احد رهبان دير المخلص

تقدمة الكتاب

لسيادة الحبر الجليل والراعي النبيل كيريوس

يوسف دوماني

مطران طرابلس وما يليها على الروم الكاثوليك الكلي الشرف والوقار دامت سيادته

سيدي وابي الحبر الجليل النبيل الكلي الشرف والوقار

ما لكم عليَّ من الفضل يقضي عليَّ بالا اكتفي بالشكر لكم شفاهاً باللسان ولا خطاً بالقلم بل اروم ان انشر هذا بالطبع على صفحات التاريخ لما ياتي من الايام ولا اريد ان ادعه خفياً في طي الفواد ومن ثم ارفع الى معالي سيادتكم هذا الكتاب الجليل القدر وهو اهل لكم وانتم اهله واقدمه لكم تقدمة حب واحترام كتقدمة موًلفه القديس لصديقه المطران باسيليوس اقراراً بفضلكم وتقريراً لانتمائي اليكم الذي افتخر به اكبر فخر راجياً بنشره زيادة رضاكم بما اتوخاه فيه من نفع الكهنة الذين

اعلم عظم محبتكم الخالصة لهم ومن ثم اقدمه لهم بكم وعلى يدكم يا مكرمهم ومحبهم وفخرهم حتى كل من يقف عليه في مستقبل الايام يعرف قدركم ويشمله به فضلكم ويدعو لكم معي بطول البقاء ودوام الفضل وحسن الاجر

ولدكم الخوري
قسطنطين الباشا

ب م

مُقَدَّمَة

لا ريب ان القديس يوحنا فم الذهب من اعظم خطباء النصرانية واشهر علماء الكنيسة الشرقية ومن اجل اباء الكنيسة الكاثوليكية شرقاً وغرباً وافضلهم علماً وعملاً ولا حاجة الى اثبات هذا بالبيان لان شهرته في النصرانية وشيوع اقواله في الكنيسة اليونانية واعلاء شانه في الكنيسة الكاثوليكية يغني عن البيان وهو اقوى من كل برهان

وللقديس تاليف كثيرة جليلة شهيرة كلها درر كريمة بل كل آية منها درة يتيمة وقد نقلت الى لغات كثيرة عن اليونانية ونقل منها كثير الى لغتنا العربية لكنه لم يطبع منها الا الشيء القليل واجل كتبه واشهرها وابلغها كتابه بالكهنوت في ست مقالات وهو زهرة شبابه قطفه عند كمال عقله على انفراده بعد ان زهد بالدنيا وجرد نفسه عن مهامها وقبل ان تقلد رئاسة الكهنوت واشتغل في تدبير امورها. وما زال هذا الكتاب منذ عهد مؤلفه القديس غرضاً تتوجه اليه انظار اهل التقى والفضل من ارباب الكهنوت وتمتد اعناقهم اليه وتشرأب نفوسهم اليه وقد جعلوه قاعدة ثابتة لاعمالهم الصالحة اللائقة بمقامهم الباذخ السامي واتخذه العلماء الذين كتبوا بعده صورة ورسماً وجملوا تآليفهم بما اخذوه منه ونقلوه عنه. وقد قرظه كثيرون من القديسين والعلماء من اهل الفضل وكتب فيه القديس ايسيدورس الفرمي ما ترجمته «لم يلج هذا الكتاب قلب الانسان الا وقد ترك فيه اثراً من محبة الله. فان الكهنوت يظهر فيه انه ترتيب باذخ وصعب المرتقى في غاية السمو ويتجلى فيه فم الذهب

باجلى بيان انه ترجمان اسرار الله الامين الحكيم وانه عين الكنيسة الجامعة وان كان رئيس اساقفة القسطنطينية لانه اذ وضعه استفرغ فيه جل عنايته وكمال عقله وكل قواه حتى جعله مرآة صقيلة جلية لارباب الكهنوت فيرى فيه الكاهن الغيور صورة نفسه بفضائلها كما يرى الفاتر صورته بعيوبها » وشهد فيه العالم سيداس بانه الكتاب الكامل التام بفائق معناه وشائق مبناه وطلاوة عبارته ولطيف اساليبه

وطالما تاقت نفسي اليه من حينما عرفت به الى ان وقعت لي منه نسخة خطية حسنة التعريب في احدى مكاتب بيروت فلم اتمالك عن مشتراها بثمن طمع فيه صاحبها لما ظهر له من رغبتي فيه · ومن اول مرة طالعته ناجتني النفس ان انشره بالطبع تعمياً لفائدته وخدمة لاكليروسنا الشرقي الذي وضع الكتاب في الاصل له ولافادته واذ عدت الى مطالعته واعدت النظر فيه والتمعن في معانيه وجدته في بعض المواضع مبهم العبارة ولقيت فيه خللاً واضطراباً باللفظ والمعنى في غيرها يستوقف القاري عن ادراك معانيه ولا يسعه استيعاب ما فيه الا بعد الجهد وكد النفس · ولما عولت على طبعه قابلت هذه النسخة على الترجمة الفرنساوية التي نقلها عن اليونانية الاب باريل Bareille واصلحت ما فيها من خلل التعريب والنسخ مع ايضاح ما ابهم من معانيها بقدر ما استطعت لان معرفتي باليونانية لا تمكنني من مراجعة الاصل اليوناني مع محافظتي على اصل التعريب القديم حباً ببقاء القديم على قدمه

واما موضوع الكتاب والباعث على تاليفه فقد اوضحه المؤلف في المقالة الاولى وهو انه لما شاع انتداب فم الذهب وصديقه باسيليوس للاسقفية تجاهل فم الذهب وقال لباسيلوس يجب ان نؤخر الكلام في هذا الشان حيث لا داعي ولا انتداب الان وكانا قد تعاهدا ان يقبلا الاسقفية او يرفضاها كلاهما · ولما دعي باسيلوس الى مجمع الاساقفة لغير

الرسامة احتيل عليه واكره او اقنع بقبول الرسامة وهو يظن ان صديقه فم الذهب سبقه وقبل الرسامة قبله طائعاً مختاراً · لكن لما ادرك هذه الحيلة وعرف بهرب فم الذهب واعتفائه من الرسامة اخذ يعاتبه و يشكو منه هذا و يلتمس منه ان يسليه و يعزيه و يساعده فماذا يجب ان يقول لمن يشكو منهما او من احدهما فكتب فم الذهب هذه المقالات الست معتذراً له ومبرراً نفسه من شر الخديعة واحتج بعدم صلاحيته للاسقفية التي ابان له سمو شرفها وجلالة قدرها وثقل واجباتها وعزاه ببيان الاجر عليها والثواب لمن قام بخدمتها كالواجب وان باسيليوس كفو لها وحسن الاضطلاع بتدبيرها وذلك بصورة محاورة لطيفة بين الصديقين

ولما عزمت على طبع الكتاب كتبت الى بعض السادة الاساقفة ورؤساء الرهبانيات في نشره وطلبت رايهم فيه واشتراكهم حتى يكون لهم الفضل في نشره فسر من عملي هذا اصحاب الفضل والاريحية منهم وشرفوني بكتبهم وبدل اشتراكهم ومنهم من وعدني بذلك وعد حر. ومن ثم اثبت في صدر الكتاب اسماء الذين تكرموا بدفع بدل اشتراكهم اقراراً بفضلهم وليكونوا قدوة لسواهم في المساعدة على نشر اعمال آبائنا القديسين الشرقيين وتعليم وتثقيف الاكليرس الذي ما زال في زمان أجل اعمال الاساقفة الغيورين واشرف مقاصدهم

عدد النسخ

٥٠ سيادة الحبر الجليل كيريوس يوسف دوماني مطران طرابلس وما يليها الكلي الشرف والوقار

٣٠ سيادة الحبر الجليل كيريوس باسيلوس حجار مطران صيدا ودير القمر الكلي الشرف والوقار

١٠ سيادة الحبر الجليل كيريوس نيقولاوس قاضي مطران بصرى وحوران الكلي الشرف والوقار

١٠ سيادة الحبر الجليل كيريوس ديمتريوس قاضي مطران حلب وسلوقية وكورش الكلي الشرف والوقار

١٠ سيادة الحبر الجليل كيريوس اثناسيوس صوايا مطران بيروت وجبيل وما يليها الكلي الشرف والوقار

٥٠ سيادة الاب الجليل الايكونوموس اسطفان صقر رئيس الرهبانية المخلصية العام الجزيل الاحترام

١٠ سيادة الاباتي الجليل القس لويس الخازن الرئيس العام على الرهبانية الحلبية المارونية الجزيل الاحترام

٣٠ حضرة الاب الجليل فادرلن رئيس المدرسة الصلاحية الجزيل الاحترام

١٠ سيادة الاب الجليل الايكونوموس جبرائيل الرئيس العام للرهبانية الحلبية الجزيل الاحترام

١٠ سيادة الاب الجليل الايكونوموس يوسف الكفوري رئيس الرهبانية البلدية الجزيل الاحترام

الكهنوت

المقالة الاولى

تتضمن بيان كون باسيليوس اخص اصدقاء فم الذهب واتفاقه معه في كل شيء — اختلاف رايهما في ممارسة العيشة الرهبانية — ثم اتفاقهما على اتمام ذلك — ملاطفة والدة فم الذهب ومنعها اياه عن ذلك — انتدابهما الاسقفية — الحيلة التي فعلها فم الذهب لرسامة باسيليوس · عتاب باسيليوس له عليها — اعتذار فم الذهب الى من شكا منه هربه من تقلد الكهنوت — وموضوع الكتاب والباعث على تاليفه

اول ذلك

لقد صار لي اخوان كثيرون صادقو المحبة وخصيصون عارفون بشروط الصداقة مستقصاة · وحافظون لوازمها مستوفاة · الا ان واحداً من هولاء الاخلاء الكثيرين فاقهم اجمعين ومحضنا الثقة واخلص لنا المودة وبالغ في محبتنا وترك اولئك الاصدقاء الأُول ونبذهم وراء ظهره بمقدار ما نبذوا اللذين ما كان بيننا وبينهم معرفة · هذا الصديق الصدوق والسجير[1] الموموق كان

(١) الخليل الصفي

احد ملازمي مدة عمري · لاننا لازمنا معاً تعاليم واحدةً باعيانها وثابرنا على معلمين هم هم نفوسهم وكان نشاطنا وحرصنا على اقتباس العلوم متساوياً ولم يكن هذا الائتلاف والاخاء بيننا في زمان الصبا فقط اذ كنا نتلقى العلوم من اساتذتنا بل ما زال ثابتاً وراسخاً فينا بعد ان خرجنا من المدرسة وعزم كل منا على السعي لاكتساب معاشه

وقد اتفقت لنا عدة اسباب وتضافرت حتى جعلت هذا الاخاء بيننا اشد ارتباطاً وتمكناً فان افتخار كل منا بوطنه لم يكن داعياً لاحدنا ان يتعظم على رفيقه ويستصغره (اذ نحن من وطن واحد) ولم اكن من اهل الغنى الواسع وهو كذلك لم يكن فقيراً وكان اتفاقنا بالراي مشاكلاً ومساوياً يسارنا وكذلك كنا متعادلين في شرف الاصل · والغاية ان كل شيءٍ كان داعياً لنا الى الاتفاق وسبيلا للاتحاد التام

ولما قرب اليوم الذي عزم فيه هذا الشاب المغبوط على ان يباشر العيشة الرهبانية والفلسفة الحقيقية فُقد التوازن والتساوي بيننا ومالت بي كفة الميزان وهبطت وعلت كفته وارتفعت حالاً اذ لم يكن مثقلاً بشيءٍ من امور العالم واما انا اذ كنت مثقلاً بذلك شعرت بسرعة هذا الميل وسقوط كفة الميزان بي

كشان الشباب · ومع هذا لبث الحب بيننا ثابتاً نظير السابق وانما كان اختلافنا بالراي وتعذَّر علينا ان نعيش معاً · ولما رفعت راسي فوق امور العالم بادر اليَّ واخذني بيديه وضمني اليه · لكن صار من المحال ان يعود اتفاقنا تاماً وحالنا متساوياً كالسابق لانه تقدم تقدماً سريعاً فائقاً وبذل غيرة وحمية زائدة حتى تسامى وارتفع في سمو الكمال الى حيث لا نقدر ان نبلغ اليه

الا انه بفضله عاد الينا وحبه لنا حمله على ان يعيش معنا بعد ان هجر العالم وزهد باهله وهذا كان جل غايته وما ترك الزهد الا مجاراة لنا وبسبب توانينا كما سبقت فاشرت لان الذي لا يزال يتردد الى المجالس ويقصد الملاهي ومسراتها برغبة يتعذر عليه ان يكون رفيقاً موافقاً لمن لا يعرف انيساً الا كتابه ولا يتخطر في اسواق المدينة · ولما تغلَّب على نفوري وجعلني شريكاً له ورفيقاً اظهر لي رغبته وشوقه الدائم وهو انه لم يرتضِ قط بمفارقتي ساعة من الزمان وكان يحضني بلا فتور على ان اترك بيتي حتى يترك بيته ونعيش معاً في محل واحد · واذا تم هذا صار من ثم المولى المسلط على حياتي

الا ان اعتراضات والدتي وشكواها الدائمة لم تكن تسمح لي ان أُبلّغه مرامه وقبول هذه الحظوى فانها حالما علمت بما عزمت

عليه اخذتني بيدي الى الغرفة التي كانت تعدها بمنزلة هيكل للصلاة واجلستني على السرير الذي وُلدت عليه (واذ تذكرت ميلادي) امطرت على خدها وابل الدموع واخذت تكلمني بكلام احرّ من دمعها واغزر اذ قالت لي بين تصعيد انفاسها وترديدها « اني عشت قليلاً مع والدك يا ولدي وبامر الله وتدبيره زال سروري بموته · وقد زاد حزني عليه ما قاسيت من الاوجاع بك ولاجلك اذ تركك لي يتيماً صغيراً واورثني الم الترمل القاسي الذي لا يعرف شدته الا من قاساه من النساء فلا يقدر احد ان يصف ما تقاسي من العذاب الفتاة التي خرجت امس من بيت ابيها لا خبرة لها وقد اصابتها هذه الضربة الهائلة فجأة واضطرت ان تقوم باعمال فوق طاقتها لا تناسب حالها ولا توافق سنها فانها تلتزم ان تصلح اهمال الخدم وتمنع ضررهم وتسهر عليهم ويجب عليها ان تدفع اطماع الاقارب واذا ترك الميت لها ولداً فكم من الهم والاهتمام يقتضي لذلك منها وكم يقتضي من المصاريف والعناية الزائدة اذا كان الولد ابناً فضلاً عن المال الذي يجب ان تنفقه في سبيل تعليمه اذا ارادت ان يتعلم بنوع لائق

ومع هذا لم يكن شيء من ذلك يقدر ان يجعلني ان اعقد زواجاً جديداً وادخل الى بيت ابيك رجلاً اخر بل لبثت ثابتة

العزم بين هذه العواصف ولم اهلع من هذه الزوابع الهائلة اذ كنت اعتمد على العون العلوي وبه كنت اعتضد وكنت اجد تعزية ولذة اذ كنت ارى فيك صورة تامة حية لابيك . فاذاً كنت لي تعزية منذ صغرك حينما كنت لا تقدر ان تتكلم ولا تدري نظير الاطفال

ولا سبيل لك ان تلومني لاني بددت اموالك التي تركها لك والدك في دفع الاذى والاخطار التي تلم بالارملة وتسبب لها الاضرار الكثيرة العظيمة لاني حفظت لك مالك كله مع اني لم اضنَّ بشيءٍ في سبيل تعليمك على وجه لائق وراسخ لاني كنت انفق عليك من مالي الذي اصبته من بيت ابي . ولا اقول لك هذا لكي امتن عليك بذكر احساني اليك وانما اريد ان انال نعمة وهي الا ترملّني مرة ثانية وتجدّد اوجاعي القديمة وهي الان ساكنة فانتظرني الى ان اموت وانا لا البث طويلاً حتى اترك هذه الارض فان الشابات ياملن ان يعشن اياماً كثيرة واما من بلغ حد الشيخوخة مثلي فلا يترقب سوى الموت . ومن ثم متى دفنتني وانضم جسمي الى رفات والدك فباشر حينئذٍ ما اردت من الاسفار في البحار فلا يكون لك حينئذٍ من يمنعك او يصدك . على اني ما زلت اتنفس لا ترفض البقاء معي واحذر ان تسخط الله بان تلقي في

مثل هذه البلية والدتك التي لم تفعل معك الا الخير

ثم لو كان لك سبيل لملامتي في اشغالك بامور العالم او الزامك ان تهتم في مصالحك واشغالك لكان لك عذر في مخالفة ناموس الطبيعة وما توجبه عليك الانسانية التي تهذبت فيها وربيت عليها سنين طويلة · وكنت سمحت لك ان تهرب مني كهربك من عدو قتال لو كنت نصبت لك اشراكاً وانما بعكس ذلك بذلت لك كل شيء لكي اسهّل لك امر العيشة التي عزمت على ان تباشرها وقد كان هذا الامر وحده يقضي عليك ان تلبث عندي وبقربي لان اصحابك مهما كان عددهم وكيفما كان حبهم لك لا يدعوك الى ان تفعل ما تريد بحرية مطلقة مثلي لانه لا يمكن ان يعزك احد منهم مثلي»

وبعد ان كلمتني والدتي بهذا الكلام وباقوى منه ذهبت الى هذا الصديق النبيل وحكيت له ذلك فلم يؤثّر فيه ولا اضطرب له بل اخذ يلحّ عليَّ باشد مما قبل ويرغب اليَّ باتمام عزمه السابق

وبينما كنا في هذا اذ كان يلح عليَّ بذلك وانا امانعه فيه بلغنا خبر على حين فجأَة اضطربت له نفوسنا اذ شاع اننا سننتدب كلانا الى شرف الاسقفية · ومن ثم استولى عليَّ الخوف واخذتني الحيرة فكنت اخشى ان اكره على قبولها وكنت اطالب نفسي

بالسبب مراراً كثيرة كيف جرى ذكري على بالهم · لانني كلما كنت اعود الى ذاتي كنت اجدها غير اهلٍ لتلك الكرامة · فاما هذا الشجاع الباسل فانه جاءَني في خلوة وحاورني في هذا المعنى مفاتحاً كأَني لم اشعر بشيءٍ من ذلك ولا سمعته والتمس مني ما كان يلتمسه اولاً بعينه وما نرتإِيه فيه وما نعمله · ولقد كنت متأَهباً ان اتبعه واقفو اثره حسب الاول واعتمدنا ان نسلك اي طريقة نراها معاً اما ان نهرب ان ساغ ذلك وجاز · او ان نختار ما ينبغي ويجب · فلما حسست بفشلهم اعتقدت انني انما اسبب للجماعة كلها غرامة وضرراً متى اعدمت رعية المسيح شاباً مثل هذا صالحاً مضطلعاً بالاشراف عليها وكفواً لامورها ولاجل ضعفي وخوَري ما صدقته رأْيي ولا كشفت له ما في ضميري بهذا بل قلت له يجب ان نؤَخر الراي في ذلك الى وقت آخر اذ كان الان ما يحضرنا حافظ [1] ولا مستحث فاقنعته في الحال ان لا يهتم بشيءٍ البتة واكدت له ذلك واني موافقه راياً وفعلاً ان عرض له في وقت من الاوقات ان يبلى بمثل ذلك · فلما مرَّ على هذا الامر زمان يسير وحضر من يسمينا استترت انا فاختفيت ولم يشعر بشيءٍ

---

(١) الحافظ الموكل بالشيء

الا ان استدعي واستحضر لسبب آخر غير الاسامة فقبل نير الكهنوت مؤملاً انني سأتبعه من كل بد حسبما كنت وعدته · واولى ما يقال انه ظن انه يقفوا أثري و يتبعني اذ ان قوماً ممن حضروا هناك لما رأوه كئيباً عندما استدعي وتُمكِّن منه خدعوه قائلين انه لفظيع وقبيح ان يكون ذاك (يعنوني انا) الذي هو اكثر خبرةً واصعب مراساً قد رضخ واطاع لحكم الاباء بوداعة ولين جانب وانت الذي هو اقوى منه كثيراً واثبت واوفر دعة تتجافى وتتصالف وتطفر وتفر هارباً وتماحك وتعاند · فعمل فيه هذا الكلام واطاعهم

فلما صح معه انني هربت فاستترت دخل عليَّ وكان واجماً حزيناً وجلس بقربي كانه يريد خطابي بشيء ولصعوبة ما ناله ما كان يمكنه الافصاح بالاغتصاب الذي اغتصب به فكان معما يروم فتح فمه لا يستطيع ان ينطق اذ كان فرط حزنه يمنع كلامه · فلما رايته باكياً حزيناً قلقاً وعرفت السبب ضحكت من افراط لذتي ومسكت يمينه واكرهته على تقبيلها ومجَّدت الله تعالى على ما آلت اليه حيلتي فيه من الجودة حسبما كنت اريد فلما رآني فرحاً مسروراً شعر بخديعتي اياه فيما سلف فمسَّه ذاك كثيراً وتكرَّهه

وبعد هنيهة من الزمان تراجع الى ذاته وسكن من ذاك الاضطراب وقال لي وان كنتَ نبذتَ وازدريتَ بما يتعلق بنا وما اتفقنا عليه وما يهمك منذ الان امرنا فلا اعلم كيف استجزت ذاك وساغ لك هذا العمل . وكان الاجمل بك ان حققت ظننا فيك وحفظت صورة حالنا عندك . والان فقد فتحت افواه الكل اذ يقولون انك بسبب مديح باطل ومجد فارغ اعتمدت ما اعتمدت عليه والجميع يجزمون عليك انك استترت لذلك فاختفيت واعتفيت من هذه الخدمة وليس لك منقذ من هذه المثلبة . فاما انا فما يمكنني ولا اقدر ان اظهر في السوق لان كثرة كثيرة تلقاني في كل يوم شاكية ما جرى وذاك انهم متى ابصروني ورأوني في موضع من المدينة ياخذوني بعزل ويوفروا اسهمي من الثلب والملامة وجميع الاخصاء بنا يلوموني قائلين انني كنت عارفاً برأيك وما كان شيء من امرك خافياً عني وما حسن بك ان تكتمه عنا بل كان الاليق بك ان تدلنا على موضع اختفائه وبلا شك ما كانت اعوزتنا حيلة في تصيّده واقتناصه . فاما انا اذ لم اكن اشعر بانك كنت ترتإي ذلك احتشمت وخزيت ان ابدي لهم ذلك لئلا يظنوا بصداقتنا انها رياء ومداجاة لانه ان كان حسبما هو كاين ولا انت تجحد ما فعلت

بنا الان من الامتهان طرق هذا الظن علينا اما كان الاخلق
والاليق بنا ان نستر مناقصنا عن الذين خارج من صيرتنا ونحفظ
حسن ظنهم فينا وان كان نزرًا يسيرًا٠ فاما ان لزم انشرح لهم جلية
الامر وحقيقته وكيف كان صورة امورنا من المداجاة فانا اتثاقل
عن الكلام فيه٠ فالضرورة اذًا تقودني وتلزمني الصمت وان اطرق
الى الارض او ان ابعد وافرّ من كل من لقيني وصادفني٠ وكلما
افلت من الملامة الاولى تدعوني الضرورة ان اتخرّص واكذب
لانهم قط ما يصدقوني انك نزَّلت باسيليوس صفيك وحليفك
منزلة الباقين الاخرين الذين لا تستجيز ان توقفهم على جلية حالك
غير انني لا احفل بصنيعك بي هكذا اذا كان يرضيك لكن كيف
نحتمل العار والخزي من الخارجين اذ كان فريق منهم ينسبك
الى الابهة والعجرفة وفريق اخر ينسبك الى المجد الفارغ فيما فعلته
واعتمدته٠ ومن كان من لوَّامنا اقل شفقة يشكو منا كلينا الامرين
اللذين ذكرت لك ويضيفون الى ملامهم شيئًا اخر وهو امتهاننا
لمن رام تكرمتنا قائلين جيد ما اصابهم ونعم ما نالهم منها ولو زادا
من استهوانهم واحتقارهم لكان واجبًا وحسنًا وذاك انهم بغتةً
وعلى غفلةٍ راموا تكريم مراهقين ومن اول امس كانا يتمرغان
ويباشران ويمارسان اهتمامات العالم فرفعا حواجبهما ولبسا ثيابًا

مدكنة وتراءيا بالعبوسة والتقطيب زمناً يسيراً فقصدوهما واخذوا في تكريمهما بهذه الكرامة الوافية التي ما كانا يتخيلانها ولا في الحلم وقدَّموهما على اولئك الذين ابدوا النسك من اول سنهم الى هرمهم ونزّلوهم في جملة المروؤسين لهم وجعلوا بنيهم يروؤسونهم ويتقدمون عليهم وهم ما سمعوا بالشروط ولا عرفوا بالسنن التي عليها يجب ان يكون تدبير الكنيسة · هذه الاقوال واكثر منها كثيراً يقرعوننا بها تقريعاً متكاثراً ويثبون علينا بها· اما انا فما عندي لهذا اعتذار ولا ادري لهم جواباً · فلذلك ارغب اليك واطلب منك ان تصف لي شيئاً مقنعاً لاني ما اظنك هربت هذا الهرب باطلاً وجزافاً واستجزت عداوة مثل هولاء الرجال الكبراء العظماء وباينتهم هذه المباينة كيفما اتفق بل عوَّلت على ذلك واقدمت عليه بتامل وروية ولذلك احدس (١) فيك ان جوابك حاضر واعتذارك على فمك فقل اذًا ان كان عندك جواب مقنع مقبول يمكننا ان نورده على من يشكو منا ما جرى

فاما ما خنتني فيه وظلمتني به فما اطلب بسببه احتجاجاً ولا التمس منك طائلة عما استمتعته مني في قديم الزمان لاني اسلمت نفسي في يديك وقدَّمتها اليك اما انت فمكرت بي مكراً يجب ان

---

(١) احدس اظن

يحترز من مثله اذا بدا من الاضداد المحاربين · على انه قد كان الاجدر والاليق بك ان كان ما فعلته نافعاً ان تشاركني فيه ولا تعدم نفعه وان كان ضاراً فكان الاشبه بك ان تعفينا منه معك وتخلصنا من تبعته وغرامته لانك كما تزعم تؤثرنا على جميع الاصدقاء الا انك اعتمدت جميع الاعتمادات حتى اوقعتني واستعملت الغش والرئاء مع من جرت عادته قولاً وفعلاً ان يعتمد معك ترك الغش والمداجاة واعتمد معك المباسطة الخالية من الغش والدغل لكن حسب ما كنتُ تقدمتُ فقلتُ ما اشكو منك شيئاً الآن مما يجري هذا المجرى ولا اعيّرك بالبوار والتفرُّد الذي القيتنا فيه من حيث انك قطعتَ وابطلتَ عني تلك الاجتماعات التي كنا مراراً كثيرة نجتني منها ونقطف لذة كبرى ونجد بها منفعة عظيمة الا انني اصفح عن هذه كلها واحتملها بصمتٍ ودعة ليس لانك ما اذنبت الينا لكن لانني جعلت هذا سنةً وناموساً لنفسي من ذاك اليوم الذي آثرت فيه صداقتك ولا اضطرك الى الاعتذار عما شئت حزننا به وانت عالم انك سقتنا الى غرامةٍ كبرى وتحقق هذا متى ما ذكرت الالفاظ التي تلوناها وقيلت فينا ممن هو خارج عن صيرتنا وهذه هي اقوالهم واقوالنا ايضاً وهي تدعونا ان نتدرَّع ونتحصن بصداقة بعضنا وتتفق نفوسنا وتتحد مقةً

ومحبة فان ذلك يسبب ربحاً جزيلاً لنا ولغيرنا٠ وقد كان بعض الناس يقول ان موافقتنا تجدي لقوم كثيرين منفعة كبرى وانا فبحسب معرفتي وعلمي ما نفعت احداً بل كنت اقول لك انني انتفع من اتفاقنا واربح كثيراً وربحي هو انه يعسر على مغتالينا اذا جهدوا جهدهم ان يستولوا علينا او يقتنصونا

وما كففت عن تذكيرك بذلك قائلاً لك ان الزمان رديء والوقت صعب والمغتالون كثيرون والمودة الخالصة قد بادت وعدمت واستعوضنا منها بالحسد المهلك ونحن مجتازون في وسط فخاخ ومشينا انما هو على شرافات المدن٠ والفرحون بما ينالنا ويصيبنا من الشرور والحوادث متى ما سنحت واتفقت كثيرون مستعدون ان يطفروا علينا من كل موضع ومن سائر الجهات يقومون ويثبون ولا نجد من يشركنا في حزننا ومصابنا وان وجدنا من يساهمنا في بأسائنا فهم قليلون فاحذر ان لا يضحك احد علينا ضحكاً عريضاً متى ما افترقنا وان نخسر خسراناً مبيناً ونغرَّم غرامة تنال منا اكثر من الهزء بنا اذ كان الاخ متى ما عاون اخاه كانا كمدينة حصينة وكمملكة حريزة مجنَّنة بامخال حديدية (مث ١٨ : ١٩) فاحذر واياك تحلل هذا الخلصان ولا تهدم هذا البنيان ولا تزعزع هذه الامخال

وبهذه الالفاظ وما ضاهاها ووازاها او زاد عليها كنت كثيراً اخاطبك من حيث اني ما ارتبت بك في شيءٍ قط· لا بل كنت اخالك واظنك صحيح الراي وصادق العزم في محبتنا· ومن زيادة غرامي بك كنت اشاء مداواتك وانت صحيح معافى وعلى ما ارى انه خفي عني انني كنت اضع الادوية على مريض سقيم وعلى هذا الوجه ما نفعتك بشيءٍ ولا افدتك من هذه المراعاة لانك بغتة نبذت تلك الاقوال باجمعها ولم تصغ اليها بعقلك فتركتنا مثل سفينة قد عدمت صاريها في بحر ولجة متلاطمة ولم تفكر في بعض ما بنا من خطر تلك الامواج الوحشية وان الضرورة تضطرنا ان نحتملها لانه ان عرض في وقت من الاوقات اعنات او هزء او ضرر وامتهان وما اكثر ما تجري هذه المحزنات وقد آلت بنا ونزلت بساحتنا فالى من نلجأُ ومن نشاركه في المحاورة ونبوح اليه بكآبتنا ونطلعه على حزننا ومن يشاء مساعدتنا ويصدُّ عنا محزنينا ويصرف عنا الكوارث والاحزان؟ ومن يعزينا ومن يسلينا ويبعثنا على احتمال سوء الادب اللاصق بنا من مبغضينا؟ لن نجد احداً يفعل ذلك بتة لن نجد ابداً هذا وانت بعيد عن هذا الحرب والزوابع وبمعزل عن هذا القتال الصعب المرام لا تستطيع سماع ضجيجنا· فهل تراك شعرت بمقدار الردي

الذي صنعت بنا وهل تراك عرفت الان جرحك ايانا وانك جرحتنا جرحاً واصلاً بالغاً لكن لنصفح عن هذه الشؤون ولنطو عنها كشحاً اذ لا سبيل لنا الى وجدان معبرٍ عما لا يعبَّر ولا يخاض لكن ماذا تقول لمن هو خارج معركتنا واي جوابات تجاوب بها على ما يبدونه ويرمونا به من المثالب والملامات

قلت له ثق واطمئن فانني متاهب ومستعد ان اقوم بتبعات وطائلات هذه الامور التي عفيتنا منها وغيرها معها واروم ان اقوم عندك بالعذر عنها والاحتجاج عليها حسب مكنتي واستطاعتي وان رأيت فاني اجعل فاتحة ذلك الاعتذار واقدّم الكلام اولاً فيما يتعلق بك لانه يقبح بي اذ ينسب اليَّ كفر نعمة وقلة موافاة ان كنت احفل بمديح البرانيين ولم افعل كل شيء كيما اكفهم عن ان يشكوا من هو احب الناس اليَّ واحشمهم عندي حتى انني لا اشاء ازالة شكواه عما يزعم انه ظُلم فيه وغُش واُدغل عليه لكنني ازدريت باموره واهملتها الى حد ليس فيَّ قوة على اقناعه بانني ما خنته المودة ولا غششته وادغلت عليه · وكيف يجوز ان اتقاعس واتقاعد عما يتعلق به واتراخى رخاوة عظمى تفوق الحد والاجتهاد الذي استعمله هو معي

فهات اذا قل لي في اي وقت من الاوقات خناك ومتى

غششناك اذا كنا من هنا قد عزمنا ان نطلق عنان الكلام ونخوض في لجة المحبة والاعتذار · اترى هذا هو غشنا اياك اننا كتمناك رأينا وسترناه عنك · الا ان هذا الاعتماد منا آل الى ربح المخدوع الذي هو انت · لانه ان كانت المخادعة بالقول المطلق ردية وليس لنا مطلق استعمالها بتة فيما يحسن و يجدي نفعاً فنحن مستعدون ان نقيم باية طائلة شئت عن ذلك واولى ما يقال انك ما تروم اخذ طائلة منا بل نحن نلزم نفوسنا اياها ونطالبها بها اشد المطالبة حسبما يطالب الحكام والقضاة الاقوام الظلمة الخونة متى ما بكتهم ثالبهم ومختصموهم

وان كانت الخديعة ليست ضارة على الاطلاق بل عزيمة مستعملها تجعلها اما ردية واما جيدة فدع شكواك بانك خدعت و بيّن لنا اننا استعملناها معك استعمالاً ردياً وما دام الامر بعيداً من ذلك فليس للمخدوع حق مطلقاً ولا يحسن به اللوم والشكوى بل الاجدر به والاحري ان يقبل راي مخلصيه ويشكر لهم حسن مؤافاتهم اذ يكون مقدار فائدة الخديعة في الوقت الملائم الصادرة عن نية خالصة صافية مقداراً جليلاً حتى ان كثيرين من الناس ما رفضوها راساً ومراراً كثيرة ما طلبوا عنها طائلة

وان شئت فهلمَّ بنا ان نبحث عنها عند قادة الجيوش النابغين

من الدهر الداهر الناجحين في حربهم ومقاتلاتهم فانك متى فحصت عن ذلك تجد اكثر مناقبهم وغلباتهم متولدة من خديعة فهم اولى بالشكر ممن غلب وظفر مجاهرة اذ كان الظافرون من غير خداع انما يفتكون في الحروب بغرامات اموال جمة وافرة وباهلاك واتلاف امم متكاثرة حتى انهم لا يستفيدون من الغلبة امرًا عظيمًا ولا يحظون بطائل جسيم بل يشقون غاية الشقآ وينالهم من التأسآء والضرآء ليس باقل من المغلوبين منهم . اذ كانت جيوشهم تتفانى وصناديدهم تتلاشى وبيوت اموالهم تخلو وخزائنهم تبقى صافرة خالية ومع ذلك لا يفسح لهم بالتمتع بالمجد اكثر من المغلوبين ولا يخلص لهم حسن الثناء من الباقين لان المظفور بهم يعرض لهم ان يستثمروا من هذا المجد جزءًا ليس باليسير اذ انغلابهم انما هو باجسامهم وجيشهم فقط فاما نفوسهم ففارقت اجسادهم قاهرة غالبة حتى انهم لو لم يتحاربوا ولم يقعوا ما كانوا كفّوا ولا رجعوا عن سورات شهواتهم . فاما من امكنه ان يغلب ويستظهر بالخديعة والمواربة(اذ كانت الحروب خدعة الناس ويتم له الظفر بخديعة) فلا يسبب لاعدائه مصيبة فادحة فقط بل يجعلهم هزءًا وضحكة . لان المديح والثناء والتنويه لمن قهر وظفر بحنكته وحصافته ليس كمن قهر عدوه بالقتال لان

المكافاة والتيجان انما هي للغالبين وحدهم دون المغلوبين · واكثر من هذا انهم يحفظون لبلدتهم ووطنهم لذة الغلبة خالصة غير مشوبة بحزن لكن لا يجري الامر في حصافة النفس وسؤددها كما يجري في الجم الوافر من الاموال وكثرة الاجساد والاجسام اذ من شان هذه التلف والتلاشي في الحروب فيفقد الملك اجناده وجيوشه ويعدم كنوزه وذخائره فاما تعقل النفس وسدادها كلما استعمله مستعمله ينمو ويزيد بمقدار ما استعمل

وقد يجد الانسان الخديعة نافعة ويحتاج اليها لا فيما يتعلق في الحروب فقط بل يصادفها ضرورية في اوقات السلم والغلينة [1] ويراها نافعة في امور المدينة جميعها وليس في المدينة فقط بل في المنزل الواحد والدار المفردة وقد يستعملها الرجل مع حرمته والمرأة مع بعلها والصديق مع صديقه والاب مع سليله وولده وذلك ان ابنة شاوول ما امكنها على وجه من الوجوه استنقاذ بعلها من يدي شاوِول لو لم تخادع اباها وتداغله وكذلك اخوها لما شاء خلاص الانسان الذي كانت خلصته وقد شارف العطب استعمل هذا السلاح بعينه الذي استعملته المرأة المذكورة

زعم باسيليوس ان حالي معك لا تشبه شيئاً مما ذكرت لاني

---

(١) الغلينة كلمة يونانية معربة يراد بها الهدو والسلام

لست بمحارب لك ولا بعدو مباين ولا ممن يروم الاضرار بك والتعدي عليك لكن صورة امري معك جميعها على خلاف ما شرحت ووصفت اذ كنت فوّضتك جميع ما يتعلق بي وانطته برايك وتبعت ايثارك كيفما شئت وامرت

فقلت له ايها العجيب الفايق صلاحه انني تقدمت فقلت لك ان استعمال المخادعة سائغ وجيد ليس في الحرب فقط بل في حال السكون والدجون واستعمالها مع الادواء والاخلاء حسن جائز ونافع ومنفعة ذلك تبين لك متى تقدّمت الى بعض الاطباء فسألتهم كيف ينقذون المرضى من الوصب والسقم فانك تسمعهم يقولون لك ان الصناعة بمفردها ما تجزيهم في ذلك بل الضرورة تقودهم داعية في بعض الاوقات الى استعمال المخادعة مع مرضاهم ومتى مزجوا المعونة التي من الخديعة بما تقتضيه الصناعة اشفوا ذوي السقم والمرضى وذاك اذا كان المرضى شكسي الاخلاق كارهي الشفاء غير قابلين الدواء ورداءة المرض وحال عسره لا تطاوع مشورات الاطباء لنيل الشفاء فحينئذٍ يستصنعون بحكم الضرورة وجوهاً للتضليل والتفنن في مخادعتهم فيخفون عن مرضاهم حقيقة امورهم شبيهاً باصحاب المحاكمات. وان شئت فساشرح لك خديعة سمعتها من جملة خدائعهم الكثيرة. وان فتيان

الاطباء تعمدوها واستعملوها وهذا شرحها

عرض لبعض الناس فجاةً حمى صالب واخذته اخذاً شديداً وزاد فيه التلهف والتحرق وكان المريض يأبى شرب ما يطفي لهيبه ويبرّد حرقته وكانت شهوته تميل به ميلاً شديداً الى سؤال كل من عاده ودخل عليه ان يسقيه خمراً صرفاً غير مزيج ويكثر له منه وكان يرغب اليهم ان يبيحوا لهُ التمتع بهذه الشهوة الموبقة المهلكة لانه لو اجابه احد الناس الى هذه الشهوة الردية لكانت الحمى تزيد بل كان يجن ويتوسوس هذا التعيس ٠ فلما حارت الصناعة الطبية في سبيله ولم يجد شيئاً لشفائه وعجزت بقية الامور عن مداواته جاءَت الخديعة والحيلة نائبة عن كل شيء فاظهرت مقدار قوتها كما ستسمعه مني لان الطبيب في الحال اخذ وعاءً خزفياً من الاتون وصبغه بجمرة وافرة ثم اخذ وعاءً فارغاً وملاه ماءً وامر بتستير نواحي البيت الذي فيه المريض بستور كثيرة بحيث عميت الحيلة على المريض ودفع له الاناء ليشربه كأنه مفعم خمراً صرفاً كما كان يشاء ٠ فاما المريض فمن قبل ان يتناول الاناء بيديه اضلّته الرائحة المتضوعة فما سأل عما داخل الاناء الذي أُعطيه ولا بحث عنه ولذلك نخدع من زيادة الرائحة وساعد الرائحة ظلمة المكان وحفزته

الشهوة فتناول ما أُعطيه بشهوة غالبة ولما استفعم منه دفع عنه في الحال ما كاد يخنقه وافلت من العطب الذي ألَمَّ به . ارأَيت يا صاحِ فائدة الخديعة ؟ ولو اراد المريد من الناس ان يعدّد مخادعات الاطباء لقد كان يسهب فيطنب . ويجد الطالب اطباءَ النفوس مستعملين هذا الدواء ومخرجين لهذا الفن في طب الارواح ليس باقل من استعمال اطباء الاجسام مع من ابتلي بمرض الابدان هكذا فعل بولس واقتاد تلك الربوات من اليهود وختن تيموثاوس هكذا فعل بولس الذي كتب الى اهل غلاطية ان المسيح ما ينفع المختونين شيئاً لذلك صار تحت الناموس (غلاة : ٢) وهو كان يظن ان العدالة التي من الناموس بعد الايمان بالمسيح غرامة تيقن ان قوة الخديعة شديدة وانما يجب ان تكون معراة من كل نية دغلة وخالية من الغش . ولا يسوغ اذا كانت بهذه الصفـة ان تدعى خديعة بل تسمى سياسة وحكمة وصناعة قادرة مستطيعة ان توجد لنا معابر ومنافذ كثيرة وسبلاً غزيرة في الاشياء التي قد شملتها الحيرة لان فيها كفاية لتثقيف النفس . فانني لا ادعو فنحاس رجلاً قاتولاً لانه في ضربة واحدة شك اثنين وقتل جسدين ولا اشكو من إِلياس بعد قتل المائة من الجند

وقوادهم واهراقه تلك الدماء دماء كهنة الشياطين وسدنة الابالسة الملاعين لاننا متى تسامحنا في شيء من ذلك وجرّدناهم مما اعتمدوه من جميع الامور ومن القصد الذي قصدوه وحكم الانسان على هذه الحوادث من ظاهرها فانه سيبتّ الحكم على ابراهيم الخليل انهُ قاتل ولده ويسدك باولاد ابراهيم وسلالته المكر والغش . اذ كان احدهم اخذ على هذه الصفة البكورية واستولى على كرائم الطبيعة والاخر بهذا الفن فاز بثروة الاقباط ونقل غناهم الى معسكر بني اسرائيل لكن ليس الامر كذلك كلا ثم كلا . فأَبعد هذا الظن عنك ولا تتجاسر على التفوه فيه لاننا بسبب هذه الاشياء نفسها ليس اننا لا ننزّههم عن اللائمة عليها فقط بل يزيد عجبنا بها ونزهزه لها اذ كان الله تعالى من اجلها قرَّظهم ومدحهم وحسن قبولها عنده لانهُ يجب ان يدعى خداعاً وتليق هذه التسمية بمستعمل الخديعة غشاً ودغلاً وعدواناً ومراراً كثيرة يجب استعمالها وان ينفع بها مستعملها بصناعة منفعة عظمى . واما من ترك استعمالها في وقتها فقد ارتكب شروراً عظيمة جسيمة مع من ترك مخادعته

المقالة الثانية

عنوانها ان الكهنوت لامارة عظمى وعلامة كبرى على محبة المسيح — وان خدمته لاشرف الخدم وانه مفتقر الى نفس كبيرة وعجيبة وهو مملو صعوبة وخطراً — اننا انما ابتعدنا هاربين من هذا الامر من جراء محبة المسيح — برهان على فضيلة باسيليوس وفرط مقته — في اننا ما انهزمنا من حكم من شاء سيامتنا امتهاناً لهم — وفي اننا قد اعفيناهم بهربنا من ملامة عظمى

قلنا انه ممكن ويسوغ استعمال المخادعة في اشياء جيدة مستحسنة وانه لا يجب ان يسمى هذا الفن خداعاً بل يدعى سياسة عجيبة ويمكننا ان نورد في ذلك اكثر مما اوردنا ونطنب فيما نقوله كثيراً واذ كانت هذه المقولات قد سبقت وتبرهنت فمن الفضيلة التي لا يحتاج اليها ان نكبّ على الاكثار . فالان يجب عليك اذاً ان تبدي اننا ما استعملنا هذا الفن لمنفعتك

فقال باسيليوس اية فائدة اتجهت لنا من هذا الفن الذي شئت ان تسميه سياسة او حكمة او مهما اخترت ان تدعوه من الاسماء مسروراً بتسميته كي نقنع اننا ما خُدعنا منك

فاجبته اي ربح او فائدة تكون اعظم من ذلك وهو انه متى ظهرنا له فاعلين يكون امارة وعلامة لمحبة المسيح حسب ما قاله هو

ذاته تقدس اسمه اذ كان في محاورته لهامة الرسل الصفا سأَله قائلاً يابطرس اتحبني فلما اعترف بطرس بمحبته اجابه ان احببتني فارع غنمي · فان المعلم سأَل التلميذ ان كان يحبه لا ليعلم ذلك منه وهو سبحانه علاَّم ما في القلوب بل ليشعرنا بمقدار اهتمامه برعاية رعيته · فاذ بان هذا لزم من بيانه ان جزاءَ التعب في هذا الامر موفور جزيل حسب ما آثره السيد المسيح واكرمه

لاننا ان كنا نحن متى راينا قوماً من عبيدنا وخولنا مهتمين باغنامنا وقطعاننا نستدل بذلك على مقتهم ايانا ومحبتهم لنا من اهتمامهم بما يتعلق بنا · على ان هذه جميعها انما هي قنايا مبتاعة بعين وورق فالذي ابتاعنا ليس بمال ولا بغيره مما جرت به المعاملات في العالم بل بدمه الكريم النقي الذكي وبذله عنا ودفعه ثمناً فباية مكافاة لا يكافي رعاتها وباية مجازاة لا يجازي حافظيها وحراسها · ولذلك لما اجابه التلميذ يا رب انت تعرف ذلك واستدعى الموموق ذاته والمحبوب نفسه شاهداً على مقتهِ ومحبته له فما وقف المخلص عند ذلك بل اضاف الى خطابه وابان امارة المحبة ودالتها لانه عز اسمه ما شاءَ حينئذ ان يعرف مقدار محبة بطرس له اذ كنا قد استدللنا على ذلك من معاني شتى وامور كثيرة لكنه اختار ان يعرّف بطرس ويعرّفنا

مقدار محبته لخاصته ومقته لرعيته لنبذل نحن الاهتمام بها بجد كثير شديد · لانـه لم يشفق الله تعالى على سليله ووحيد جنسه بل اسلمه و بذله وانما فعل ذلك ليصلح بوساطته حال من كانت الحال بينهم و بينه حال عداوة و بغضاء و يوقع السلام و يوفر عدد شعبه ويكثره· ولِمَ أُهرق الدم الذكي ؟ كي يقتني هذه الغنم التي عول في رعايتها على بطرس ومن خلفه

فما احسن اذاً ما قاله المسيح وما اختمه بالقول اترى من هو العبد الامين والمدبر الحكيم الذي ائتمنه سيده على تدبير منزله وعوَّل عليه في سياسة مسكنه (مت ٢٤ : ٤٥) وهذه الالفاظ ايضاً فصورتها صورة حائر مشكك وقائلها عز من قائل ما قالها والحيرة قد شملته وتفوه بتلك كمستخبر من بطرس اذا كان يحبه وساله ليس كمحتاج ان يعلم محبة التلميذ له لكن أَراد ان يظهر فرط محبته لرعيته هكذا فعل بقوله اترى من هو العبد الامين الحصيف ليس جهلاً منه بمن هو الثقة اللبيب من الناس بل اراد بهذا ان يرى ان هذا الامر شاذ عزيز الوجود ومبيناً بذلك عظم هذه الرياسة· فافتح ناظرك وتأَمَّل جسامة المجازاة عن ذلك لانه يقول انه يقيمه سائساً ومدبراً لجميع ما يمتلكه · أَتراك تشكك فينا اننا لسنا مذنبين في مخادعتك وانت عتيد ان تقوم

مشرفاً على جميع ما لله تقدست اسماؤه اذ تباشر عمل بطرس وتتقلده
مقتدراً على ما قدر هو عليه مرتفعاً على بقية الرسل لانه يقول
وقوله صادق يا بطرس اتحبني اكثر من هولاء فارع غنمي
على انه كان يباح لهُ ان يقول ان احببتني فصم او ارقد على
الحضيض او واصل السهرانات او انتصر للمظلومين او اعتنق
امورهم او كن لليتامى اباً وللارملة عوض رجلها الا انه ضرب عن
جميع ذلك صفحاً وبث قائلاً ارع اغنمي لان هذه المعدّات
يتقنها كثيرون من الناس المرؤوسين التابعين للرئيس بايسر مرام
وقد يقتدر على اتقانها نساء وحرم وليست مقصورة على نوع الرجال
فاما متى عرضت الحاجة الى من يرأَس الجماعة ويتقدم في
البيعة ويؤتمن على نفوس كثيرين من الورى فطبيعة الحرم جمعاءَ
تفرج لهذا الامر العظيم جلالته · نعم واكثر الرجال ينكلّون عنه
ويتاخَّرون ولا يحضر الى الوسط الامن علت منزلتهم على الباقين
وفاقوا بفضيلتهم على كثيرين وتزيد مناقب نفوسهم عن
الاخرين بمقدار ما كان شاوول يفوق بعظم جسمه على جميع
اسباط العبرانيين واكثر من ذلك · ولا تطلب مني في
هذه الشؤُون حدود المقايسة · والفرق في هذا الامر كالفرق
بين طبيعة الناطقين وطبيعة غير الناطقين هكذا هي الميزة

بين الراعي والرعية والرئيس والمرؤوسين حتى لا اقول اكثر واعلى · لان خطر رعاية غير الناطقين ليس بعظيم اذ من اضاع غنماً من سرقة لصوص او خطف ذئاب او من وباءٍ او شيءٍ غير ذلك من فوادح الزمان وحوادث الايام فيجوز ان يغتفر له ذلك صاحب القنية · وان هو ظلمه فانما يظلمه في مالٍ وحطام واما المؤتمن على رعية المسيح لذكره السجود التي هي رعية ناطقة انسانية فما غرامته في مال وقنيان بل غرامته في اذى نفسه ومتى هلك من رعيته ولو صغيرها فجهاده وكدحه واتعابه تفوق كثيراً على اتعاب وشقاء راعي القنايا غير الناطقة اذ مدافعته ومضاربته عن رعيته ليست مع سراحين وذئاب وخشيته ليست مع لصوص وطراق وسراق ولا اهتمامه بالسنة الموبئة ولا بشيءٍ مما يشاكل ذلك · وان سأَلتني مع من مكافحته وملاحمته اجبتك بمقال بولس الرسول اذ يقول ليس مصارعتنا مع لحم ودم لكن مع رياسات وسلاطين وماسكي ظلام عالم هذا الدهر ومع روحانيات الخبيث في العلو (افسس ٦ : ١٢)

أَفشاهدت كثرة وافرة من المعاندين والمحاربين شرسة المراس ارأيت كراديس وحشية مثلها ليست مدججة باسلحة حديدية لكنها اكتفت عوض عن جميع اصناف السلاحات

بالطبيعة وحدها ؟ اتوثر ان تبصر جيشاً فظاً غليظاً قاسياً مواظباً وملازماً لهذه الرعية فانك تراه من المشرف الذي رايت منه الذي قبله لان مفاوضنا عن تلك القوى هو ذاته يرينا هولاء الاعداء مخاطباً لنا هكذا ان اعمال اللحم والدم ظاهرة بينة وهي هذه الزنا والفجور والنجاسة والفسق وعبادة الاوثان والسحر والخصام والمماحكة والغيرة والغضب والخصائم والنميمات والسعايات والابهات (غلا ٥ : ١٩) وغيرها كثير لانه ما استوفى عدد المناقص والقبائح كلها لكنه ترك لك ان تعلم الباقيات

والذين يقصدون اختطاف واتلاف قنايا راعي الغنم متى ما راؤه هارباً منهم بعيداً عنهم يدعون محاربته ويجتزون بخطف الغنم فاما حال راعي الناطقين فليست كذلك لان المفسدين لو اخذوا جميع الرعية لا يقنعون بها ولا ينفكون عن محاربة الراعي ولا يفكون البتة الا ان يصرعوه او ينقهروا وينغلبوا بل ان وثوبهم عليه من بعد اخذ الرعية يزيدهم تهجمهم تفاقماً

وامراض الغنم تظهر بسهولة ان كان جوع او وباء او جرح او غير ذلك من الكوارث والمحزنات وظهور هذه الحوادث قد يساعد على الخلاص منها • وقد يوجد شيء اخر ابلغ في سرعة مداواتها وهوان الرعاة تقتدر كثيراً ان تكره الاغنام على قبول

ما يزيل عنها الامراض والاسقام متى تكرهت ذلك ولم تقبله بسهولة لانهم بسهولة يشدونها ويربطونها متى دعت الحاجة الى كيها وقطع شيء منها ويحفظونها مدة طويلة داخل الصيرة متى اقتضت الحال ويغيّرون عليها القضيم ويمنعونها من شرب الماء ويستعملون معها جميع ما قد امتحن مما يفضي بها الى العافية ويعتمدون ذلك باسهل مرام

فاما امراض البشر الناطقين فاولاً لا يسهل وقوف الانسان عليها لانه لا يعلم ما في الانسان الا النسمة التي فيه (١ كو٢: ١١) فكيف يداوي المداوي مرضاً ما وقف على سببه وعلى اكثر الامر لا يتجه له ان يعلم ان كان من يراه مريضاً او لا · ومتى علم ذلك يصعب عليه شفاؤه اذ كانت مداواة الناطقين صعبة في الغاية بمقدار سهولة مداواة غير الناطقين على راعي الاغنام لان في مداواة الناطقين قد يحتاج ان يربط المريض ويمنع من الغذا ويكوى ويقطع منه شيء لكن قبول المداواة ليست لمقدم الدواء بل الى الوصب السقيم وبيده قبول ذلك ورفضه · ولقد علم هذا الامر ذلك المرء العجيب مكاتب اهل قرنتية اذ قال لهم لسنا ارباب ايمانكم لكننا مساهمون لكم في المسرة والحبور (٢ كو ١: ٢٣) لان النصارى المسيحيين دون سواهم لم يطلقوا ولم يستعملوا اكراه

المجرمين على تثقيف جرائمهم . وحكام العالم متى ما وجدوا فاعلي المنكرات يتسلطون عليهم تسلطاً جزيلاً ويكرهونهم على ان لا يستعملوا فنونهم الموبقة الردية اذ لا ينبغي لنا ان نثقف المجرم كارهاً مجبراً بل يجب ان يداوي طائعاً مختاراً لاننا ما اعطينا من النواميس مثل هذه السلطة في صد المجرمين عن وخيم افعالهم وذميم اعمالهم لاننا لو كنا أُعطينا هذا لكنا قد استعملنا معهم قوتنا والله تعالى انما لا يتوج بتاج الغلبة والظفر من ابتعد عن الرذيلة عن ضرورة بل من نأى عنها بايثاره واختياره فلذلك بنا حاجة الى استعمال التخيل معهم والاقناع لكي يرضخوا طائعين ويلينوا لمداواة الكهنة مختارين . وما يكتفى منهم بهذا وحده بل يراد منهم ان يعترفوا لمداويهم بالمنة ويعتدُّوا لهم باليد في شفائهم لانه ان جمح المربوط (اذ كان ذلك اليه) فقد صار مرضه اردى . لانه ان رفض الاقاويل التي منزلتها منزلة الحديد في مضه يكون باستهوانه بها قد اضاف الى جرحه جرحاً اخر ويصير سبب المداواة له سبباً لمرض اعضل اذ لا يمكن ان نقوى على مداواته من غير ايثاره وطاعته

فماذا تصف له اذاً؟ لانك ان تلطفت مع من هو محتاج الى صرامة وبطٍ كثيرٍ ولم تعمق في جرحه فتكون قد بترت جزءًا من الجروح واغفلت عن جزءٍ وان بالغت في بطه كما يجب

من غير اشفاق فعلى اكثر الامر من شدة ما يمضه من الاوجاع ينبذ كل شيء عندما لا يحتمل مضاضة الدواء وكراهته ولا الربط والعصابة فيتهور من ثمّ ويكسر النير ويمزق الرباطات والعصائب وانني استطيع ان اعدد كثيرين آلت احوالهم الى هذا الحد لما التمس منهم الواجب على هفواتهم وطولبوا بالطائلة عنها لانه لا ينبغي ان يلزموا بالجناح عن ذلك بمقدار خطاياهم بل يجب ان ينظر الى نية المخطئين والى حالهم لئلا من حيث يريد ان يرتق الفتق فيوسع في الخرق ويتلفه ومن حيث نقصد اصلاح الساقط الفاسد وبمبالغتنا في ذلك نجعل سقطته اعظم واردى لان الضعفاء المسترسلين وهم على اكثر الامر مقيدون بترفه العالم واهل الشرف والمقدرة المتعظمين متى اخطوا يمكنهم قليلاً قليلاً ان يقلعوا عن خطاياهم وان كان ذلك ليس بالكمال وعلى التمام. ومتى عوّل احد الناس على اصلاحهم دفعة واحدة يعدمهم اليسير من الاصلاح الذي كان يامله منهم لان النفس اذا حملت والجئت ان تلقي عنها الاستحياء فتتقح وتخرج الى عدم الاحساس بالردي من فعلها ومن ثم لا ترضخ لما لام من الاقوال ولا تنثني بالوعيد والتهديد ولا ينجع فيها الاحسان والجميل بل تؤول حالها الى ما هو اردى واشر من تلك البلدة التي هجاها النبي قائلاً صار لكِ

وجه مومس عاهر وانك توغلت في القحة مع كل احد (ار ٣ : ٣)
ولذلك راعي الناطقين به فقر وحاجة الى سداد كثير وما احرى
به ان يكون له ربوات من العيون والمقل ليتأمل ملكات النفوس
من كل جهة · وكما ان كثيرين لجهلهم يسقطون في الاياس من
شفائهم من حيث انهم ما احتملوا شرب الادوية الشنعة الكريهة
المرة كذلك قد يوجد قوم لا يستطيعون القيام بالعقوبة الواجبة
عن هفواتهم فيضجرون ويصيرون دون كثيرين فينقادون بذلك
الى الفشل ويصيرون الى هفوات اشنع من الاولى · فالخليق
بالكاهن اذاً الا يدع فناً من هذه الفنون غير مسبور
ولا مخبور بل ينبغي له امتحان واعتبار جميع الاشياء وان يعتمد فيها
ما يلائم ويوافق حتى لا يذهب تعبه باطلاً ولا يضيع حرصه
هدراً ليس في هذا المعنى وحده بل يجب ان يكون ممارساً ممارسات
مختلفة في جميع الاعضاء المنشقة من جملة الجماعة لان راعي الغنم
يجب ان يكون قطيعه تابعاً له حيثما ذهب به وقاده · فان حاد منه
بعضه عن الطريق المستقيمة وترك المرعى الجيد ومضى يرعى في
ارض لا توافق او على جرف مشرفات فالراعي يعيد الشارد من
قطيعه الى جملة القطيع باسهل مرام · لكن ان زل بعض الناس
وحاد عن قويم الايمان فانه يسبب لراعيه المعتني به تعباً جزيلاً

ويحتاج ان يمارس في استعادته جهداً شديداً وما احوجه الى التثبت وطول الاناة وما افقره الى طول الروح· لانه لا يمكنه ان يجبره بغضبه ولا يضطره بتخويف ولا بتغزيع بل يحسن به اقناعه الى ان يعيده الى الحق الذي مرق منه اولاً وخرج عنه والجدير بنفسه ان تكون شهمة شجاعة باسلة حتى لا تكل ولا تقع في الاياس من خلاص الضالين وان يفكر دائماً بهذا الفكر ويقول لا بد أنَّ الله تعالى في وقت من الاوقات يجود عليهم بمعرفة الحقائق وينقذهم من فخاخ ابليس خزاه الله (٢ تيمو ٢: ٢٥) لذلك لما فاوض الله التلاميذ نطق قائلاً من هو ذاك العبد الثقة الاريب (مت ٢٤ : ٤٥) لان من اتقن اصلاح ذاته فقط فقد اقتصر على منفعة نفسه لا غير واما فائدة الرعاية فانها تمتد الى الشعب كله وتشتمل على كبيره وصغيره لان من فرَّق الاموال في المحتاجين واصطنع جميلاً مع الفقراء واحسن الى غيرهم من الخلائق اجمعين وانقذ المظلومين فقد وصلت منفعته الى من قرب منه ودنا غير ان الفرق بين الكاهن والعامي عظيم بمقدار الفرق بين النفس والجسم في علوها وانحطاطه · فما احرى ما قاله الرب واجوده ان علامة المحبة له هي الجد والتشمير في رعاية رعيته

قال باسيلوس وانت اما تحب المسيح وتوده

فاجبته اني اوده وأمحضه المقة ولا اكف عن ذلك غير انني خائف من ان اغضبه بعملي هذا وهو حبيبي الودود

قال باسيليوس واي لغز يكون كلامك هذا اذ كان المسيح رسم من يحبه ان يكون راعي غنمه وانت تستعفي من الرعاية لهذا السبب نفسه وهو محبتك للآمر بهذا الامر

فقلت له ما قولي هذا لغزاً ولا رمزاً لكنه على غاية الايضاح والافصاح لانني لو كان فيّ كفاية واضطلاع بتدبير هذا الامر والقيام بواجب هذه الرتبة كما يشاء ويحب السيد المسيح وفررت منها بعد ذلك لكان يجب ان يحاد من قولي وتنكر مقالتي ويرتاب بها. فانما ضعف منّتي جعلني فشلاً لا اصلح لهذه الخدمة وجزعت ان اتسلم رعية المسيح وهي على غاية النمو حسنة النشو والتربية وافسدها بقلة خبرتي برعايتها فارجز الله عليّ واحدّه اذ هو محب لها غاية المحبة الى حدّ انه اسلم وبذل ذاته عنها خاطباً خلاصها وتكرمتها

قال باسيليوس انت تقول هذا القول ماجناً اذ كان قولك عادماً للجد فان كنت تقوله بجد فلا اعرف على اي صفة افهمه لانك جعلتنا متوجعين بهذه الالفاظ التي بها اجتهدت ان تبعد عنا الكآبة والحزن . لانني من قبلُ كنت عارفاً انك

خادعتني والان تيقنت ذلك وتحققته اذ شرعت في ابعاد الذنوب عنك وخلعها عن ذاتك فقد فهمت هذا وعلمته وعرفت معرفة بليغة والى اي شر من الشرور سقتني واقتدتني لانك ان كنت لهذه الحال اعفيت نفسك من هذه الخدمة لما عرفته من ذاتك بانه ليس فيك لها كفاية لعظمها فقد كان الاخلق بك ان تسبق وتعفيني منها قبلك ولو شعرت مني انني آثرها وارغبها فضلاً عن انني رددت رأيي كله اليك وفوضت اليك جميع امري. والان دبّرت مايتعلق بك وحدك واهملت ما يتعلق بي و ياليتك كنت اهملته وما كان احب ذلك اليّ. غير انك سهّلت اقتناصنا لمن اراد الاستيلاء علينا. ولا سبيل لك ان تلجأ الى هذه الحجة بان اعتقاد الكل خدعك فبعثك ان تتخيل فيَّ اشياء عجيبة عظيمة اذ لست من مشاهير الناموس ولا من ذوي التعجب والفضل فلو كانت صفتي هكذا لكنتَ ممن يؤَثر اعتقاد العامة ونصحية الحق. ولو كنتُ لم اسبق واتقدم فاعطتك خبرة باموري واجتمعت بك مراراً وخالطتك لكان يسوغ لك الاحتجاج بهذا وكان يجوز لك ان تحكم عليّ بما حكمت قافياً بحكمك الخبر الشائع من الكثيرين وقاطعاً به. لكن ان كان ليس احد من الناس يعرف اموري كمعرفتك بها وخبرتك اياها وانك في علمها تفوق من ولدني

وربّاني فايّ قول مقنع تورده محتجاً به انك ما دهورتني والقيتني في هذه الاخطار والاهوال موثراً مختاراً لكن لندع هذه الان اذ كنا ما نضطرك ان تحاكمنا عنها وتناظرنا فيها بل قل ماذا نجاوب من يشكونا هذه الشكوى

فقلت له انني لا اتجاوز مايتعلق بك واطفر الى ما يتعلق بهؤلاء ولو شئت اعفآنا من الملام لانك زعمت ان جهلنا بشؤونك يوجب العفو عنا و يقتضي الصفح لما فعلنا و يعتقنا من كل مثلبة (لو كنا جاهلين امورك وما ينوط بك) ثم بعد ذلك قدناك الى حاضر امرك هذا· لكن لما كنا خبيرين بامورك ولسنا جاهلين شيئاً منها فاعتمادنا معك انما كان بذلاً لك واسلاماً· وجملة الحال لما كانت حالنا معك حال من قد علم جميع شؤونك باستقصاء فقد اعدمتنا كل احتجاج وسلبتنا جميع الاعتذار وفسحته عنا· فانا اقول جميع ماخالف هذه الاقوال و باينها

واقول ان هذه الحال تحتاج الى كشف بليغ وبحث كثير· وانه لا يليق بمن يرفع بعض الناس الى خدمة الكهنوت ان يقتنع بالخبر المخبر به من كثيرين بل يلزمه اكثر من الناس كلهم وقبل الجميع وقبل ان يخبروا بالخبر ان يستفحص احوال المنتدب للكهنوت · والطوبان بولص تقدم قائلاً هذا القول

بلفظه وهو ينبغي ان يكون له شهادة حسنة يشهد له البرانيون
(اتيمو ٣ : ٧) فبقوله هذا لا يدفع عنه ان تسبر احواله وتعتبر
اموره اعتباراً كافياً وتمتحن امتحاناً شافياً ولم يضع امتحان البرانيين
كمقدمة وعلامة يعوّل عليها . لكنه بعدما اسهب في الكلام
واورد افانين كثيرة من الخطاب جعل امتحان البرانيين مضافاً
الى ما عدد من الاصناف فبين بذلك انه لا يجب ان يجتزى به
وحده في مثل هذا الانتداب والاختبار بل يجب ان يتخذ مع
تلك و يحققها جميعها . اذ على اكثر الامر قد يتفق ان يكون الخبر
المخبر به من الكثيرين كذباً وميناً . فاما اذا تقدم الامتحان
المستقصى وسبق الاختبار البليغ الكافي فلا ينبغي ان يسيء الظن
بعد ذلك بالخبر الذائع ولذلك (حسب ما قلنا) جعله الرسول خاتمة
الكلام ووضعه آخر المقولات لانه ما قال باطلاً ينبغي ان يكون
له شهادة حسنة جيدة قبل ان اضاف الى ذلك قوله من البرانيين
دالاً بقوله هذا ان المندوب يجب ان تستقصى اموره وتمتحن احواله
نعم الامتحان قبل الاعتماد على الخبر البراني فاذ كنتُ على قولك قد
علمت امورك اكثر من والديك وقد اقررت بذلك واعترفت
به فلهذا السبب نفسه انا اهل ومستحق ان اعفى من جميع الملامات
قال باسيليوس لو كنت ممن يريد ان يعلّق حجة لما كنت

تبرأ من الملامة اترى لا تذكر ما سمعته مني مرارا كثيرة وعرفته وقلته عن خبرة بليغة بافعالى وهو فشل نفسي وركاكتها. وكنت تنسبه الى ضيق عطن وضعف منة وتشكوه على الدائم مني وتعيرني به وتقول انني اخطي بسهولة

فقلت له انني لذاكراني قد سمعت منك مرات كثيرة هذه الالفاظ ولا اجحد ذلك. لكن ان كنت عيرتك في بعض الاوقات بها فلقد فعلت ذلك ماجناً ولاعباً لا محققاً وموكداً. لكن لا اشاحنك في شيء من هذه الان بل اطلب منك ان تمنحني حسن مولاة تساوي وتوازي ما اشاء ان اذكر من محاسنك ومناقبك لانك لو رمت ان تُظهر كذب هذا لا نعتني من تحقيقه ونُظهر انك تقول ما تقوله ماجناً باكثر مما تقوله محققاً ولا نثق بسواك ولا نستشهد بغير اقوالك وافعالك على صدق هذه المقولات وانما اروم الان ان اسألك عن هذا وهو هل تعلم قوة المحبة لان المسيح نكّب عن جميع الآيات التي كان الرسل عتيدين ان يجترحوها فقال بهذا يعلم الناس انكم تلاميذي ان احببتم بعضكم بعضاً (يو ١٣ : ٣٥) فاما بولص فيزعم انها كمال الناموس وتمام العهد ومتى زالت المحبة وفقدت فلن يتوجه من المنح فائدة ولا يكون للمواهب عائدة . فالمحبة التي هي الخير الفائق والصلاح

الرائق سمة وعلامة تلاميذ المسيح وموضعها متعالي على منازل المنح والمواهب كلها · وقد استدللت على نفسك انها مقر ومغرس نصبات صالحة ذات ثمار كثيرة وانها نفس جلدة شهمة

قال باسيليوس انني شديد الاهتمام بامر المحبة وابذل من اجل هذه الوصية اعظم الحرص وانا مقر ومعترف بذلك لكنَّني ما اتقنت النصف من هذا الفن وانت الشاهد على ذلك ان شئت الحق وطلبته وحدت عن الملق واطّرحته وهجرت اعتماد ما يقال على سبيل التفاضل وحسن المحاورة

قلت له فانا اعطف الى التفنيد وما وعدت به ساصنعه وابدي انني كنت لاهياً لاعباً بما قلته فيما سلف لا مجداً محققاً فاذكر هنا امراً قد عرض الان لئلا يظن بي بعض الناس انني اروم سترة شيءٍ قد مضى واحاول ان اخفيه بطول الزمان اذ كان الحق لا يفرج لنا ولا يدعنا ان نذكر شيئاً مما يقال على سبيل المحاسنة والمجاملة · لانه لما كان بعض المختصين بنا قد أُعنت وشكي منه ذنب العجرفة وآلت حاله الى البوار والعطب ما شكا احد اليك ولا المُعنت توسل وكان قد شارف العطب بل انت بدأْت وجزعت نفسك عليه والقيتها في وسط الاخطار وزجيتها في عظيم الاهوال · واذكر لك فعلك هذا لكيما ابكّتك من نفس

الافعال التي لا تنكرها · وهذه الرغبة ما حسن قبولها عند فريق من النــاس وفريق آخر مدح هذا الامر منك وزاد به اعجاباً فقلتَ حينئذٍ لمن شكا هذا الامر منك ماذا يجب ان اعمل لانني لا اعرف ان اصادق على صفة اخرى ولا اخاص المودة الا ببذل مهجتي متى دعت الضرورة لخلاص الهالك ممن يلزمنا امره · فلما نطقت بهذا نطقت بفكر السيد المسيح ذاته وبمعنـاه وان كنت غيَّرت بعض الفاظه · اذ السيد المسيح لما اورد حد المحبة الكاملة قال للتلاميذ انه لا يمتلك احد اعظم من هذه المحبة وهو ان يضع الواحد نفسه من جراء خلانه (يو ١٥ : ١٣) فـاذاً ان كان لا يوجد شيء اعظم من هذا في المحبة فقد بلغت غايتها وعلوت ذروتها · و بما قلته والى ما صنعته اسلمناك وبذلناك ولذلك غششناك وادغلنا عليك · فهل اقتنعت الان ان الذي فعلناه معك ما هو فعل مضمر سوء ولا مريد عطب وانما لما عرفناك انك ستكون نافعاً جواداً جذبناك الى هذه الحالة

قال باسيليوس أَبعد هذا تظن ان فيَّ من قوة المحبة كفاية لتثقيف القريب في الجانس

فاجبته قد قلت انها فيك بزيادة وتقتدر على ذلك وبانحاء كثيرة · وان شئت فنحن نبداء بالبراهين على حصافتك وسدادك

ونخوض في ذلك ونرى انك سديد لبيب باكثر مما انت مود ومحب

فاخجلته هذه الاقوال واحمرَّت وجنتاه وقال اما ما يتعلق بنا فذره ونكّب عنه لاننا من فاتحة كلامنا ما طالبناك بعذر عنه بل ان ساغ عندك شي يقال للبرانيين وكان حقاً واجباً فانني ساسمعه بلذة وافرة · فدع عنك الان محاربتك الفي والظل وابدأ فيما يجب ان نقوله معتذرين لبقية الناس من مكرمينا والمتوجعين منا كمتهنين

فقلت اني مسارع الى ذلك لان خطابي معك فيما يتعلق بك قد انتهى · فانا اعطف الان الى اولائك واعتذر عندهم باسهل مرام · فما هي اذاً شكواهم وما هي الذنوب التي يلزمونا اياها وينسبونها لنا؟ ايزعمون انا ازدرينا بهم وانالهم منا مكروه لاننا ما قبلنا الكرامة التي شاؤوا اكرامنا بها ؟ فاول ما اقول انه لايجب الاحفال بالبشر اذا اضطرنا الحال ان نصادم الله باكرامنا اياهم بل يسوغ لنا ان نكرههم فهذا الامر لا يخلو من عطب وخطر ويسبّب لهم غرامة كبرى لانه بحسب ظني يليق بالمنصبين الى الله تعالى والمختصين به ان يكون نظرهم اليه وحده لتكون حالهم حال ورع وتقى بحيث لا يظنون بهذا الامر انه ازدراء وامتهان ولو امتهنوا ربوات مرات مع انه ما خطر على بالي هذا ولا غيره مما ضاهاه · ودليله من هناك

لاني لو كنت قصدت بما اقدمت عليه الابهة وحب المجد الذي حسبما قلت انت مراراً كثيرة ان بعض الناس يذمه منا و يرذله لقد كنت من الظالمين والمتعدين تعدياً عظيماً ولقد افلح الثلابون لنا اذ ازدريت برجال كبرياء عظماء اهل لكل تعجب مع حسن مناقبهم واحسانهم وجميلهم اليَّ لان من رام ظلم من لم يظلمه كان للعقاب مستحقاً و بالاولى ظلم من قد بدا بالاحسان اليه من ذاته وليس للشاكي ان يقول ان قد سبق مني اليهم جميل واحسان اذ كان لم يخطر لنا هذا ببال في وقت من الاوقات مطلقاً بل بغير هذا القصد حدنا عن حمل هذا التعب وهربنا من هذا الحمل الثقيل . فاذ لم يشاؤوا قبول هذا العذر منا نكَّبوا عن مسامحتنا وشكوا منا اننا ما فعلناه شفقة على نفوسنا

فانا ابتعد من الازدراء بهولاء القوم بمقدار ما اقول بل قد اكرمتهم بابتعادي واعتفائي . وان كان قولي هذا عجيباً غريباً وبديعاً فلا تعجبن منه فساوضح لك مشكله وبديعه حالاً لانه وان كان ليس الكل بل البعض يلتذون بقول الاشياء الفظيعة كان لهم فسحة ليظنوا ظنوناً كثيرة و يسهبوا الكلام فيَّ وفي الذين راموا انتدابي واختياري معتقدين انهم طمعوا في الغنى وطمحوا بابصارهم اليه وعجبوا من شرف الاصل فآثروني

واني تملقتهم ولاطفتهم فبعثهم ذلك على اختياري وانتدابي (فاما انهم ارتشوا فلا اظن احداً يقول هذا) والسيد المسيح انما استدعى الى هذه الرياسة صيادين وخيميين وعشارين · وهولاء يرفضون من قام باوده من عمله ويعجبون و يقبلون من تأدب بالادب البراني واكل قوته وهو بطال لا يعمل شيئاً · فلماذا اعرضوا عمن يعرقون اعراقاً كثيرة ويتعبون اتعاباً جزيلة ولم يختاروهم لخدم البيع بل اقتادوا الى هذه الكرامة بغتة وعلى غفلة من لم يمارس شيئاً من هذه الاتعاب والاعراق وقد قضى عمره كله بتعب باطل بانصبابه على الادب البراني

فلو كنت قبلت الشرطنة لكان قد قيل فيَّ وفيهم هذه الاقوال وما ضاهاها والان بهربي قد افحمنا من كان عتيداً ان يتفوه بمثل هذا وقطعنا كل تعلل ردي كانوا يعتمدونه وما بقي لهم مساغ ان يشكوا مني ملقاً وتلطفاً ولا من اولئك انهم اخذوا رشوة وجعلاً اللهم ان يختاروا الوسواس الصراح والجنون المحض لانه كيف يجوز ان يكون الانسان قد تملق وتلطف ورشا ليصل الى اكرام قد اشرأبت نفسه اليه ولما كاد ينله افرج لغيره عنه وتركه له · لان هذه الحال تشبه حال قوم افرطوا في الاتعاب وعرقوا اعراقاً كثيرة في زراعة الارض وكسحوا الكروم مؤملين

خصب غلاتهم وتدفق معاصرهم من النبيذ فلما شارفوا على استغلالها وقطافها اباحوا ثمارها لغيرهم بعد ما كابدوا اتعاباً واعراقاً وتغرَّموا غرامات كثيرة وبذلوا نفقات ليست بيسيرة · افشاهدت ما يقولون ولو كانت هذه المقولات بعيدة عن الحق لقد كان يجوز ويسوغ لمن شاء الثلب من اولئك القوم ان يبذلوا الحجج بان اختيارنا وانتدابنا ما كان عن راي مستقيم ولا بعزم صائب وانما بهربنا ما فسحنا لهم على الاطلاق ان يفتحوا افواههم وكانوا قد قالوا هذا وما شاكله من اول ساعة كنا قبلنا الانتداب بل اكثر من هذا كانوا قد قالوا

وبعد قبولنا هذه الخدمة وممارستها فما كان لنا طاقة ان نجاوب ونعتذر في كل يوم الى الشاكين منا ولو كنا عملنا كل شيء بصواب من غير خطل ولا زلل في شيء بل ما كنا نخلو من الخطل ولا الزلل على اكثر الامر اذ كانت السن الطرية وقلة الخبرة والتجربة تلجئنا الى ذلك والان اعفيناهم من هذه المثلبة التي كانت لصقت بمن انتدبونا ولزمتهم لانهم اي شيءٍ لم يكن يقال فيهم ? قد كان يقال انهم قلّدوا لصبية جهلة اموراً جسيمة عظيمة عجيبة ولذا افسدوا رعية المسيح بما فعلوا وصارت امور المسيحيين ضحكة ولعبة · لكن الان كل خطية مخالفة للناموس قد سدت

فاها وصمتت لانهم ان قالوا فيك اشياء مشاكلة ومشابهة لما قلنا فانك اوضحت لهم حالاً من نفس الاعمال واقنعتهم بالافعال انه لا يجب ان يحكم للسن وحدها بالسداد ولا يحسب حكيماً الشيخ بما مضى عليه من السنين ولا ينبغي ان يمنع الشباب من هذه الخدمة بل الممنوع من هو طري النصبة وما ابعد البون بينك وبين ما قلنا

المقالة الثالثة

ان الظانين باعتفائنا انه كان لابهة وكبرياء ساء ظنهم — في اننا ما هربنا طالبين لمديح باطل — في انه لو كنا نؤثر المجد لكان الاخلق بنا ان نتقلد هذا الامر — في ان الكهنوت امر رهيب مفزع — وان خدمة العهد الجديد لاشد فزعاً من خدمة العهد العتيق بكثير — في ان كرامة الكهنة وسلطتهم كثيرة وعظيمة — في ان الكهنة هم خدام منح المسيح العظيمة — في ان بولص لما نظر الى عظم هذه الرئاسة تفاقم جزعه — في ان من يبرز الى الوسط ولا يكون جلداً شجاعا يهفو في كثير من الامور — في ان المديح الباطل يقتنصه باشراكه — في ان الكهنوت ليس سبب هذه المصاعب بل فشلنا وتكاسلنا — في انه ينبغي لا يكون في نفس الكاهن محبة الرئاسة

هذه الاقوال شرحنا فيها فقط ما يتعلق بامتهان الذين شاؤوا كرامتنا واننا ما هربنا من كرامتهم مريدين بهذا حزنهم واروم

الان ان اوضح لك حسب مكنتي واستطاعتي وابرهن لك انه لم يكن ذلك منا عن ابهة وعجرفة · لانه لو كان الامر الذي انتدبنا له قيادة الجيوش او تولي الملك واعتفينا منه لكان يسوغ لبعض الناس ان يظنوا بنا ان ذلك ما كان منا عن كبرياء وابهة فقط بل عن جنون · ولو قبلنا خدمة الكهنوت لكانت لصقت بنا هذه الظنة بل كان يظن بنا اعظم ظن بمقدار ما ان الكهنوت اعظم من الملك كعظم الفرق بين النفس والجسد · فكيف اذاً يحكمون علينا بالكبرياء و يشكون منا امتهاناً واطراحاً وعملاً قبيحاً بعيداً عن الصواب ؟ لانه كيف يلومون و يشكون الذين ازدروا بالامور الحقيرة و يعتقدون فيهم الجنون والوسواس والذين رفضوا هذه الخدمة لا يقرفونهم بالجنون والوسواس بل ينسبونهم الى الكبرياء ؟ فمثل هولاء مثل من يشكو من راعي البقر اطراحه للقطيع غير موثر ان يكون عليه راعياً و ينسب له الكبرياء والجنون ولا ينسب الجنون والوسواس لمن اعتفى من تولي المسكونة كلها ورفض ان يكون قائداً لجيوش الارض كلها بل يقول فيه انه فعل ذلك تيهاً وابهة وعن كبرياء · لكن ليس هذه الحال حالنا بل ان الذين يقولون فينا هذه الاقوال يعيبون بها ذواتهم اكثر مما يعيبونا نحن لان الفكر وحده بانه يمكن للانسان ان يزدري بهذه الخدمة

السامية يسفر عن حال من يخطر بباله هذا الفكر ويوضح انه فكر من لا يحفل به كثيراً اذ لا يكون هذا الفكر الا من رعاع الناس · لانه لا يتجاسر احد ان يقول انه قد يوجد انسان يرفض ان يرتقي الى رتبة الملائكة تيهاً منه وابهة · اذ لا يمكن ان الانسان يتصور شيئاً اشرف واجل من طبيعة الملائكة · ومن ثم يجب ان تنسب الكبرياء والابهة لمن رمونا بها وهم احق بها من سواهم · وما كانوا رموا سواهم بها لو لم يزدروا هم اولاً بهذه الخدمة الشريفة العظيمة اذ احتقروها بهذا المقدار وجعلوهـا مبتذلة لهذا الحد حتى يظنوا ان الانسان يستطيع ان يرفضها تيهاً وابهة عن عجرفة و كبرياء

فان قالوا فينا اننا خطبنا بذلك مجداً لانفسنـا فكلامهم يناقض بعضه بعضاً وهو ذاته يبكتهم ظاهراً لانهم لو راموا ان يرفعوا عنا الملامة وتهمة المجد الباطل لما كانوا قالوا غير هذا · بل لو راموا مديحنا وتبريرنا من هذه التهمة لما تكلموا الا بهذا على انه لو كان تداخلني في وقت من الاوقات هذا العزم لكان الاولى بي قبول هذه الخدمة لا ان اهرب منها بالفرار

وان سألتني لماذا اجبتك بان تقلدنا اياها كان قد ساق لنا مجداً واعجاباً عظيماً · وكيف لا يعجب منا على صغر سننا واننا من

زمن قليل فارقنا الاهتمامات الدنياوية وعلى غفلة ظن بنا الجميع ظناً عجيباً حتى انهم قدَّمونا وآثرونا على من قضى عمره كله بالاتعاب واختارونا دون كثيرين فلظنهم بنا ظنوناً جايلة اذاً قدمونا عليهم ورفعونا ونوهوا باسمنا

والواقع انه لا يعرف احد باسمي الا القليل من الناس واعتفائي ما عرف عند الكل وما علم به الا البعض وعلى حسب ظني ان هؤلاء لم يقفوا على جلية الحال · والاقرب لظني ان عامة الناس لم يعلموا ولم يسمعوا شيئاً عن انتخابنا واختيارنا او يظنون اننا بعد انتخابنا سقطنا واعتقد فينا اننا لا نصلح لهذه الخدمة الا اننا اعتفينا منها بارادتنا وايثارنا

قال باسيليوس لكن الذين عرفوا حقيقة الحال على جليتها يتعجبون من اعتفائك بل انت تقول عنهم انهم يعيبونا كذوي مجد فارغ واصحاب عجرفة وكبرياء

فقلت له من اين نتوقع هذه الملامة ؟ امن الكثيرين ؟ الا انهم ما علموا جلية الحال · ام من القليلين؟ الا انه قد انتقل في هذا كلامنا الى ضد قصده لانك ما دخلت الينا الا لكي تعلم ماذا يجب ان تعتذر به عند اولئك · ومالي البحث في حاضر وقتنا عما يتعلق بهولاء لانه لو كان الكل وقفوا على جلية الامر وحقيقته

لما كان يجوز ان يقطع علينا بمحبة الابهة وايثار المجد · فتوقف رويداً لتفهم قولي فهماً واضحاً وتفهم ايضاً معه غيره · لان في هذا عطباً ليس بصغير وخطراً غير قليل ليس لمن يتجاسر هذه الجسارة العظمى فقط ان كان في الناس من يتجاسر عليها (لانني ما اقنع بذلك) بل الخطر والعطب لازم ونازل بمن يظنون في غيرهم هذه الظنون لان الكهنوت الذي يكمل على الارض له نظام وترتيب الشؤون السماوية · وما اخلقه واليقه اذ كان مرتب هذا الترتيب على الغبراء وراسم هذا الاتساق وناسق هذا النسق ما فعله بشر ولا ملاك ولا قوة مخلوقة بل الآمر به وفاعله هو الروح القدس الذي اقنعنا ونحن في الجسم ان نتصور ونتمثل خدمة الملائكة ونماثلهم ولذلك فالخليق بالكاهن ان يكون ماثلاً في ذات السماوات بين تلك القوى لتكون طهارته ونقاوته ونظافته وظلافته سماوية

ولقد كانت احوال كاهن العهد العتيق شديدة الرهبة وعظيمة الفزع مثل الاجراس والجلاجل والاحجار التي كانت على صدر الكاهن والتي على متنه والمنطقة لبسية رأسه والبدلة الشاملة الى رجليه والورقة الذهبية وقدس القديسين وما كان في داخله من السكون والدجون والصمت والسكوت · لكن ان استبحث

مستبحث عما يتعلق بالعهد الجديد فانه يجد هذه المفزعات المذهلات صغيرة حقيرة بالمقايسة اه و يجد ما قيل في الناموس هو الحق الظاهر في العهد الجديد وهو قوله ان الممجد ما تمجد بهذا النحو من اجل زيادة المجد وعلوه (كو ٣ : ١٠) لانك متى عاينت الرب موضوعاً ذبيحاً وشاهدت الكاهن ماثلاً لدى الضحية مبتهلاً ورأيت الجميع قد تضرَّجوا واحمرّوا شفاهاً بذلك الدم الذكي الكريم اتراك بعد هذا تظن بنفسك انك قائم على البطحاء مع جملة الورى ولا تنهض في الحال صاعداً الى السما بنفس عرية مجردة من سائر الآلام وعقل معتوق من جميع الاعراض لتلاحظ ما في السماوات؟ ياله من عجب عجاب وآهاً لمحبة الله للبشر التي لا توصف لان الجالس مع الاب في العلا في تلك الساعة تمسكه ايادي الكل ويمنح ذاته للموثرين لثمه واعتناقه و يصير هذا الامر مع كل الذين استناروا بضياء الايمان · اترى يظهر لك ان هذه الامور تستوجب الازدراء والاطراح ؟ وهل يمكن لاحد ان يتشامخ و يتصالف عليها ؟ ثم اتشاء ان تشاهد بزيادة قداسة هذا السر من عجب آخر فتصور وانظر بعينيك ايليا النبي والجم الغفير ماثلاً امامه وحوله والضحية على الاحجار موضوعة والصمت الكثير والسكون الغزير قد شمل الكل والنبي الصادق وحده مبتهلاً ناطقاً ثم تصوّر

ان لهيباً سقط فجأة من السماوات على تلك العشيرة٠ فهذه الامور
الموصوفة بديعة وعجيبة في الغاية ومفعمة ومملوة من كل استعجاب
وانذهال وانشداه وانقل لي تصورك هذا من تلك الامور
التي كانت تكمل في ذاك الحين الى الامور والشؤون المكتملة في
حيننا هذا فتراها ليست بديعة وعجيبة فقط بل تشاهدها تفوق كل
وصف وتعلو كل انذهال واستعجاب لانك ترى الكاهن ماثلاً
ليس محدراً ناراً ضراماً بل منزلاً روحاً قدسياً وتراه الوسيلة مكثراً
وفي زمان الذريعة مطيلاً لا ليوقد مصباحاً ليتصوب من العلا
اللهيب نازلاً فيفني ما لديه من الضحية بل تشاهد نعمة الله واقعة
على الضحية وبوساطتها مشعلة ولاهبة لنفوس الكل وقد جعلت
تلك النفوس اشد بهاءً من كل فضة ولجين محمي منقًى٠ فمن من
الانام يزدري بهذا السر الشديد الرهبة اللهم ان يكون قد توسوس
وعدم عقله٠ اتجهل انه لولا ان تكون المعونة من القوة الالهية
غزيرة وموازرة النعمة الربانية كثيرة ما كان ممكناً ومستطاعاً
لنفس بشرية احتمال نار هذه الضحية وكان الكل بدفعة واحدة
يتلاشون ويضمحلون؟ لانه ان افتكر الانسان وتروَّى وهو مركب
من لحم ودم انه يدنو من تلك الطبيعة السعيدة الازلية تعالت
وتقدست ويصير بطبقتها فانه يلاحظ حينئذٍ ملاحظة شافية

مقدار النعمة التي أَهَّلها الروح القدس للكهنة والسدنة لان بوساطتهم تتم وتكمل هذه الاشياء وغيرها وهي ليست ناقصة عنها في الرتبة ولا في خلاص نفوسنا. لانهم وحدهم وهم سكان الارض المتصرفون عليها قد فسح لهم ان يمارسوا ويتصرَّفوا بما في السماوات وأُعطوا سلطة ما جاد بها الله تعالى على ملائكته ولا خوَّلها لرؤساء الملائكة. لانه عزَّ اسمه ما قال لتلك الطبيعة الملائكية مهما ربطتموه على الارض كان في الخضراء مربوطاً وما حللتموه على البطحاء كان في السماء محلولاً (مت ١٨ : ١٨) ولعمري ان ملوك الارض مقتدرون على الضبط في الارض وضبط الاجسام فقط. واما ضبط الكهنة فانه يمس النفس ويخرق السماوات ومهما يفعله الكهنة اسفل يمضيه الله فوق ويؤيد السيد ويجيز راي العبيد والخول. وما ذاك الا لانه جاد عليهم واعطاهم السلطة التامة الوافية الكافية لانه عز من قائل يقول ان صفحتم عن هفوات قوم فقد صفح عنها وان انتم لم تصفحوا عنها فقد احصيت عليهم ولزمتهم (يو ٢٠ : ٢٢) فاية سلطة تكون اعظم من هذه السلطة؟ فالاب قد فوَّض الحكم باجمعه للابن (يو ٥ = ٢٢) واشاهد الكهنة قد تقلدوا هذه السلطة من الابن وانتقلوا الى السماوات وتعالوا عن الطبيعة البشرية وتخلَّصوا من الآمها

واسقامها · ولما صاروا بهذه الصفة بلغوا الى ريـاسة هذا المقدار مقدارها

ثم نقول لو كان بعض الملوك اعطى احد اتباعه سلطة ليحبس من اراد ويطلق من اراد لقد كان المخوَّل له هذه السلطة مفاخرًا ومنافسًا ومنوهًا باسمه عند الكل · ومن اتخذ من الله سلطة اعظم من هذه السلطة واعلى بمقدار علو السماوات عن الارض والنفوس عن الاجساد افيظن قوم انه قد فاز باكرام قليل حتى يمكن لبعض الناس ان يظن فيــه اذا اعتنى منها انه مزدرٍ بها ومحتقر لها · فاَقلع عن هذا الوسواس وابتعد من هذا اللمم لان احتقار هذه الرياسة انما ينسب الى وسواس وجنون ظاهر كامل اذ كان خلوًا من هذه الخدمة والرئاسة لا يمكن الخلاص ولا الفوز بشيء من الخيرات الموعود بها لانه ان كان لا يمكن دخول ملكوت السماوات لاحد من الناس ان لم يولد ثانية من الماء والروح ومن لا يا كل جسد الرب ويشرب دمه فقد اقصي من الحياة المؤَبدة الخالدة وهذه الاشياء جميعها لا تتم الا بوساطة الايادي المقدسة ايادي الكاهن فكيف يفلت الانسان من نار جهنم وعذابها الاليم ويفوز بالتاجات المذخورة في النعيم على غير ايدي الكهنة؟ لان هولاء خوّلوا ان يلدونا الميلاد الروحاني بوساطة المعمودية

المقدسة و بوساطتهم نلبس المسيح و بوساطتهم ندفن مع ابن الله و بوساطتهم نصير اعضاء لتلك الهامة السعيدة حتى ان منزلتهم عندنا ليست دون منزلة الملوك المفزعين القادرين · بل منزلتهم ومحلهم اكرم واجل من الاباء المشفقين وذلك على غاية الواجب والاستحقاق لان والدينا الطبيعيين انما ولدونا من شهوة لحم ودم والكهنة صاروا لنا واسطة لميلادنا من الله · ثم ان كهنة الناموس القديم خوّلوا ان يطهروا من برص الجسم و بالحقيقة لم يكونوا قادرين ان يطهروا احداً وانما فسح لهم ان يعلنوا و يشهروا المطهّرين · و كهنة العهد الجديد ما منحوا ساطة لان يطهّروا برص الجسد بل منحوا اقتداراً على ازالة نجاسة النفس وانقاذها من الادران والانجاس انقاذاً كلياً كاملاً لا مجرد اشهار واعلان حتى ان محتقريهم والمزدرين بهم يكونون لا محالة انجس من داثان ومن كان معه ومستحقين عقاباً اعظم من اولئك واقطع · لان اولئك وان كانوا تمسكوا بالرئاسة التي ما كانت تليق بهم لكنهم على حال قد اعتقدوا فيها اعتقاداً عجيباً واوضحوا ذلك من ايثارهم اياها واشتياقهم اليها بجد شديد · فاما هولاء فلما حسن هذا الامر وصير به الى الافضل ونما نمواً كثيراً . فحينئذٍ خالفوا اولئك وتجاسروا باعظم مما تجاسر اولئك عليه · لان طلب الكرامة بغير حق

واطراح خيرات هذا المقدار مقدارها ليس الامر بينهما متساوياً بل هذا اعظم من ذاك بمقدار الفرق بين الازدراء بهذه والتعجب من تلك · فاية نفس شقية بهذا المقدار تعرض عن هذه الخيرات وتزدري بها · واما انا فلا اظن ان نفساً تفعل ذلك اللهم ان يكون قد اعتراها جنون شيطاني

فليعد بي القول الى حيث خرجت وذلك ان الله عزَّ وجل منح الكهنة قوة اعظم من الآباء الطبيعيين لا على الانتقام والعقاب بل على فعل الاحسان والانعام وهذا الفرق بين آبائنا الطبيعيين ووالدينا الروحانيين كالفرق بين الحياة الحاضرة والحياة العتيدة لان آبائنا الطبيعيين لن يستطيعوا دفع الحمام والموت عنا ولا صرف الامراض اذا طرقتنا · فاما هولاء فقد خلَّصوا النفس مراراً كثيرة من سقمها وقد شارفت على العطب وقد خفَّفوا العقاب ولقوم غيرهم ما تركوهم من اول الامر ان يزلوا ولا ان يعاقبوا · ولم يفعلوا ذلك بمواعظهم فقط بل بمضافرة ومساعدة صلواتهم · وليس عند ايلادهم ايانا ثانية فقط بل من بعد ذلك قد اعطوا سلطة تصفح بها الاثام · فقد نطق الكتاب الالهي هكذا ان مرض فيكم انسان فليدعُ بكهنة البيعة ويبتهلون من اجله داهين اياه بدهن على اسم الرب وصلاة الايمان تبري

المريض وتنهضه وتنجيه والرب يقيمه وان كان فعل آثاماً وارتكب خطايا تترك له وتصفح (يع ٥: ١٤) ومن بعد هذا فآباؤنا الطبيعيون ان عرض لاولادهم ان يصادموا و يقاوموا بعض ذوي المقدرة والسلطة العظيمة فلا يمكنهم نفعهم بشيء فاما الكهنة أليس انهم مرات كثيرة استعطفوا لحياة ذوي التبعات سلاطين الارض وملوكها بل اكثر من هذا اذ استرضوا الله لهم وازالوا سخطه عنهم · اترى بعد ايراد ما اوردنا من الاقوال يتجاسر احد على ان يسدك بنا ابهة وعجرفة · اما انا فبحسب ظني قد اندفق على نفوس السامعين ورع وتقى الى حدٍ هذا المقدار مقداره حتى انه لا يستطيع احد بعد هذا ان يلصق بالهاربين من خدمة الكهنوت ابهة وعجرفة بل بالذين يقدمون عليها من تلقاء نفوسهم و يسعون لتحصيل كرامتها · لانه ان كان المؤتمنون على ولايات المدن ليسوا اشداء ثاقبي النظر جيدي التدبير اهلكوا واضاعوا البلدان مع نفوسهم ومن حصل في قسمته وطلع في نصيبه تحسين وتجميل عروس المسيح فكم من القوة تظن انه محتاج · وهو معما فيه من القوة به حاجة ماسة لان تنحدر اليه وتحل عليه نعمة الله من العلا لكيلا يخطيء في شيء

ما احب المسيح محب اكثر من بولص وما اظهر احد

من التشمير والجد اكثر منه ومـا حظي احد بنعمة وموهبة اكثر منه · لكنه بعد هذه المناقب والمحاسن كان جزعا فزعاً من اجل هذه الرئاسة ومن جراء المرؤوسين منه لانه يقول انا هلعٌ مرعوبٌ الا يكون كما خدع الارقم حوآ بمكره وخديعته هكذا يفسد رؤياتكم من السداجة بالمسيح (كو ١١ : ٣) ويقول ايضاً بفزع جزيل ورعب كثير صرت اليكم (٢ كو١٢ : ٢) فالانسان الذي اختطف الى السماء الثالثة وشارك اسرار الله واحتمل ميتات عددها بمقدار عدد الايام التي عاشها بعد الايمان ما شاء استعمال السلطة التي خولها الله له لكيلا يشكك ويبجس احداً من المؤمنين · فان كان المتعالي في اوامر الله الطالب ليس ما عاد لفائدته بل ما عاد لصلاح شان تابعيه خائفاً جزعاً لنظره الى عظم هذه الرئاسة فكيف تكون حالنا نحن الذين نطلب دائماً ما عاد لصلاح شأننا ولا تعالينا ولا تفاضلنا في حفظ وصايا المسيح فقط بل خالفناها خلافاً كثيراً ·ٍ وهذا المرء يزعم قائلاً من يمرض ولا أمرض انا معه ومن يشك فيعثر ولا التهب انا (٢ كو ١١ : ٢٩) بهذه الصفة يجب ان يكون الكاهن · وليس بهـذه الصفة فقط لان جميع ما اقوله نزر وحقير وكلا شيء بالنسبة الى ما انا عتيد ان اقوله وما اقوله فهو حكاية عنه فانه يقول لقد تمنَّيت وودت

ان اكون مفروزاً بعيداً من المسيح من اجل اخوتي وانسبائي بالجسد (رو ٩: ٣) فمن يقدر ان يطلق مثل هذا الصوت ومن امتلك نفساً وصلت الى هذه الاماني السامية وهرب وفر فبواجب يشكى ويلام · واما من كان ينقص عن فضيلة هذا الرجل بمقدار نقصنا فبواجب يبغض ويمقت اذا قبلها وتقلدها لا اذا هرب وفر من هذه الخدمة

لانه لو وضع قدامنا وترك امامنا اختيار امر الجندية والفروسية والذين فوض اليهم امر الاختيار قدَّموا من كان حداداً او اسكافاً او غيرهما ممن صورته مثلهما من الصناع وسلموا اليه قيادة الجيوش افكنت تمدح ذلك الشقي الغبي الذي ما هرب وركب كل مركب حتى لا يلقي نفسه في شر اعظم من كلما اظن انه شر؟ لانه ان كان اختيار الراعي مطلقاً وتقلد هذه الخدمة يجوز كيفما سنح واتفق ولا يشوبه شيء من الاخطار والاهوال فليشكُ منا من شاء من الناس مرض المديح الفارغ · وان كان متقلد هذا الاهتمام ينبغي ان يكون قبل كل الامور قد حظي بنعمة الهية عظيمة وتكون عيشته نقية وطريقته مستقيمة مضية وفضيلته وحكمته باكثر وازيد من الطبيعة البشرية ويكون مع هذه جميعها حصيفاً سديداً فلا اعدم الصفح اذاً بهربي واعتفائي

من تقلدها اذ لا اشاء ان اهلك جزافًا وباطلاً · لانه لو ملأَ احد الناس سفينة من اشياءٍ كريمة جليلة ثم جلس على ناحيتها وامرني ان اقطع بها اللجة التي يقال لها اجي او التيرنيقوس [1] لقد كنت من اول ما يفتح فاه اطفر هاربًا · ولو سالني سائل عن سبب الفرار لما زدته كلمة عن قولي لكيلا اغرق انا والسفينة · وبعد هذا اذ كانت الغرامة والخسارة والعطب يتجاوز موت الجسد فليس احد يشكو ممن احترز وتشدد في فعله · وحيث العطب لا يلقي في احدى اللجتين بل يلقي في اعماق النار حيث يخشى موت النفس لا الموت الفاصل للنفس من الجسد بل الموت الذي يقود النفس مع الجسد الى عقاب دهري · وانتم مع هذا تغضبون علينا وتشكون منا لاننا لم نرمِ نفوسنا في هذا الهول

فلا تعتمدوا هذا الاعتماد ولا تستجيزوه لاني دفعات كثيرة اتوسل اليكم انا العارف بصغر نفسي وضعف منتي واعلم واتحقق عظم هذه الخدمة وشرفها وصعوبة هذا الامر وحزونته لانه يغرّق نفس الكاهن باكثر من الارياح العاصفة التي تهيج البحر وتكدّره · واول هذه الارياح والزعازع هو مرض حب المديح الباطل الاقوى ضررًا والاشد خطرًا الذي ينسبه اصحاب

(١) اجي هو اليوم بحر اليونان و بحر التيرنيقوس هو بحر الروم او الصور بين

الخرافات الى السيرنوس · ولقد عبر وجاز السيرنوس انـاس كثيرون ونجوا من ضررهم فاما انا فيبين لي ان امري اصعب واعضل مما ذكرت · وذاك ان في وقتنا الحاضر ما تدفعني ولا تلقيني ضرورة شديدة في هذه الوهدة ولا يمكنني ان اكون متعالياً عن هذا الامر المستصعب · فان قلدني احد هذه الخدمة وامرني بالاشراف عليها فكانه قد شدَّ يدي الى الوراء واسلمني الى الوحوش الساكنة في تلك اللجة التي ذكرتها لتمزقني كل يوم

وان استخبرتني عن اسماء هذه الوحوش الضارية فانا اسميها لك وهي الغضب والحزن والحسد والمرايات والوقيعات والمثالب والكذب والرياء والغش والعداوة لمن لم يظلم والالتذاذ بالقبائح والشهوات والحزن لسعادة الغير وعشق التقريظ والمديح والغرام بالكرامة (وهذا يفسد الانسانية اكثر من بقية الآلام) والعلوم المقصود بها اللذة لا المنفعة والملق الذميم والدكلزة الخسيسة واطراح المساكين واعتماد رضى الاغنياء والكرامات الضارة الفاقدة الافراز والمنن الجالبة لمسديها وقائلها عطباً والفزع الخاص باصاغر العبيد وفقد الثقة والامانة والتنازل وتمسكن اللب بالشكل لا بالحقيقة واستئصال التوبيخات والزجر للمساكين باستعمال يتجاوز الحد ولا يتجاسر ان يفتح فاه مع المقتدرين

وهذه الوحوش واكثر منها كثيرًا تتربى في تلك اللجة · ومتى نشبت بقوم فانها بلازم الضرورة تستعبدهم وتستملكهم وتنزلهم الى منزلة يعتمدون بها فعل ما تختاره وترغبه النسوان في اشياء كثيرة ومرارًا كثيرة فيما يسمج ويقبح ولا يحسن ذكره لان الناموس الالهي قد اقصى النسوان من هذه الخدمة لكنهن يغصبن الرجال على الدخول اليها · واذ كنَّ لا يصلن الى ذلك بنفوسهنَّ لعجزهنّ فيعتمدون سائر الحيل لينتدب ويختار او يقصى ويبعد من الكهنة من اخترنهم · وايديهنّ ممدودة من اول درجة الى اعلى درجة من المراتب · ولقد صح ما جاء في المثل المقال ان المرؤوسين يقتادون الرؤساء · ويا ليت فعلة ذلك كانوا رجالًا لكنهن من اللواتي ما فسح لهنّ ان يعلمنّ ومالي اقول الا يعلّمنّ بل ما سمح لهنّ بولص الطوبان ان يتكلمنّ في احدى المحافل والبيع وانا سمعت من بعض الناس انهنّ اعطينَ دالة وبسطة حتى يلمنَ مقدمي البيعة ملامة اشد مرارة مما يستعمله السادة مع عبيدهم

ولا يتهمني احد باني أُدخل الجميع تحت هذه الملامات لانه يوجد قوم كثار واحبار اجلاء ما صيدوا بشباكهن وهم اكثر ممن وقعوا في احبولاتهنَّ · ومع ذلك لا الصق بالكهنوت ملامة ولا انسب له هذه الشرور ولا كان لي قط ان اجنَّ

بمثل هذا الجنون اذ كان لا يلام الحديد على القتل ولا الخمر على السكر ولا تلام القوة على البطش ولا الشجاعة على التهور· وكل ذي لب ينكر هذه الاعمال على من يستعمل مواهب الله ومنحه بخلاف الواجب ويضعها في غير موضعها ويبث الحكم على فاعلها الحقيقي ويوقع به العقاب عليها· هكذا يشكونا الكهنوت شكوى واجبة بان اعتماد مقلّديه ومتقلديه غير مستقيم ولا صحيح وليس هو سبب ما يجري في هذا المعنى من المنكرات والمستقبحات بل نحن قد دنَّسناه ووضعنا من محله وشانه بتفويضنا اموره لمن اتفق من الانام الذين ما عرفوا نفوسهم ولا نظروا الى فخامة هذا الامر وجلالته فسارعوا الى اخذه ودخلوا تحت وقره وبعد دخولهم فيه عميت بصائرهم عما يلزم له من اهتمامهم ونكَّلوا عن القيام باموره لقلة تجربتهم ولذلك يسيئون اساءة عظمى الى الشعوب الذين اؤتمنوا عليهم

وهذا الامر كاد ينزل بنا لو لم ينشلنا الله من هذه المعاطب مشفقاً على بيعته وراحماً نفسي· والا فقل لي من اين هذه الاختباطات والاضطرابات الكثيرة في البيع ومن اين تتولد ؟ فعلى ما اظن انها لا تتولد الا من ان انتداب مقدميها واختيارهم لا يجري على ما يجب بل يصير كيفما اتفق· لانه من اليق الاشياء

ان يكون الراس زائد القوة وشديدها لكي يقدر ان يدبّر الجسم الموضوع عليه بسهولة ويمنع البخارات الردية المتصاعدة اليه من سائر الجسم ويفعل معه فعلاً صالحاً ولائقاً به · فاذا اتفق لهذا الراس ان يكون ضعيفاً وغير قادر على دفع مصادمات هذه الاسباب المسببة للامراض فانه يزداد على ضعفه ضعفاً وبهلاكه يهلك الجسم كله · ولكي لا يتم هذا الامر قد حفظنا الله من ذلك

لان اشياء كثيرة يا باسيليوس يجب ان تكون مضافة الى ما ذكرنا ما امتلكناها · وقبل كل شيء يجب على الكاهن ان يطهّر نفسه وينقيها من اشتهاء هذا الامر بكل ما يجد اليه سبيلاً والا فان اتفق له من اول امره ان يكون منصباً اليه قليلاً وحظي به فنار شهوته تزداد اضطراماً · واذا تزايد به هذا الامر فانه يناله في تحصيل ذلك مصاعب كثيرة ويلوذ بالملق والمداهنة متى احتاج اليها ويلتزم ان يحتمل ما لا يحسن وما لا يجمل وتضطره الامور الى نفقات كثيرة من ذات اليد وذات النفس · ولا يظن بي احد انني اقول ما لا يصدق فاني اتجاوز عن كثيرين لما تحاربوا على هذه الرئاسة افعموا البيع من القتل والدماء وفتنوا المدن ودمروها · والأَجدر بالانسان ان يوقّر هذا الامر وينزّهه ويفرّ منه هارباً من اول الامر · والاحسن به انه بعد تقلده اياه ان

هفا هفوة توجب حطه لا يصبر ولا يقيم فيه حتى يدخل تحت حكم غيره بل الاخلق به ان يبادر الى خلع نفسه بنفسه من هذه الرئاسة لانه بهذه الطريقة يجتذب اليه رحمة الله وتشبثه وتمسكه بهذه الرتبة بخلاف الواجب وبغير حق يحرمه ويعدمه كل غفران ويبالغ في اشعال نار غضب الله عليه اذ يضيف الى الهفوة الاولى هفوة اخرى اردى واشرّ منها . لكن لا يصطبر على هذا الامر ولا يقدر عليه احد من الناس البتة اذ كان سمو رئاسة الكهنوت بالحقيقة صعباً وشديداً وعظيماً

ولا اقول هذا القول مخالفاً لبولص المغبوط بل موافقاً لهُ ومطابقاً اقاويله . فاسمع ما يقول هذا المغبوط لتحقيق مقالتي قال من يشتهي ويرغب الاسقفية فامراً جيداً يرغب (١ تيمو ٣: ٢) وانا اقول ان شهوة خدمة الاسقفية ليست ردية وانما رغبة التسلط وحب الرئاسة هو الردي . فيجب عليه ان ينزّه نفسه من هذه الشهوة ويبعدها منها بحرص كثير ولا يفسح لها من اول الامر ان تستولي عليه حتى يمكن لمتقلد هذه الخدمة ان يتصرّف في جميع اموره تصرفاً اميناً حريزاً . ومن لا يشتهي الارتقاء الى معالي هذه السلطة فانه لا يخشى النزول والحط عنها ومتى لم يكن يخشى الحط فيمكنه ان يعمل كل اعمالها بحرية لائقة

بالمسيحيين · فاما الجزعون المرتعدون الذين يخشون ان يحطوا منها ويخلعوا عنها فانهم يتكبدون عبودية مرة مفعمة من شرور كثيرة وتدعوهم الضرورة في اكثر الامر الى مقاومة الله والبشر ولا يجب ان يجري هذا الامر في ذي النفس الكريمة · وحسبما نرى ونبصر الشجعان من الجنود في القتال والحروب مقاتلين بشهوة ونشاط وشجاعة هكذا يجب ان نجري حال من يتقلد هذه الخدمة ويتعلق بهذه السياسة وينعزل عنها حسب ما يليق برجال مسيحيين معتقدين ان هذا الانعزال يتوجهم بتاج ليس دون تاج الرئاسة · لانه متى عرض للرئيس هذا العارض واصطبر عليه واحتمله ولم يكن فعل امراً غير لائق بتلك الرتبة والمنزلة فانما يسبب لذاته ثواباً جزيلاً ويسبب لمناصبيه عقاباً شديداً اذا قطعوه بغير حق · لانه يقول وعز من قائل طوباكم اذا عيَّروكم وطردوكم وقالوا فيكم كل كلمة ردية متخرصين عليكم من جرائي وبسببي فافرحوا وسرّوا فاجركم موفور في السماوات (مت ٥ : ١١) وهذا متى كانت اسباب الحط من زملائنا لحسد منهم او لرضى اخرين او لعداوة او لسبب غير هذه فيخلع المخلوع عن غير راي حميد ولا بحكم مستقيم · واما متى عرض الانخلاع من الاضداد والانداد فما بي حاجة الى اقامة البرهان

على ما يناله من الفائدة وما يحتشدون هم لنفوسهم من العقاب لما ابدوه من خبثهم وشرهم فيه

بل يجب ان يتامل في جميع الجهات ويفحص الفحص الشافي ولا يدع ما خفي في قلبه ولو شرارة يسيرة من نار هذه الشهوة اي شهوة رئاسة الكهنوت · ويا ليت الذين ترفعوا من اول الامر عن هذا يكونون قادرين على البعد والهرب منه بعد ممارستهم هذه الرئاسة · فان كان احد ربي عنده هذا الوحش الكاسر الذي لا يانس قبل ان يصل الى هذه الكرامة فلا يمكن ان يعرف في اي وطيس قد القى نفسه وزجها · ولا تظن بنا لاهين ومازحين في هذا فقد استولت عليَّ هذه الرغبة وملكتني امتلاكاً قوياً ولخوفي منها ومن غيرها فررت هذا الفرار هارباً منهزماً · لانه كما ان عشاق جمال الاجسام ما دام معشوقهم عندهم وبقربهم فغرامهم يشتد وهيامهم ينمو ويتزايد · ومتى بعدوا منه او نأى عنهم يخمد شوقهم ويبطل هيامهم هكذا تجري حال عشاق هذه الرئاسة متى دنوا منها يصير مصابهم غير محتمل ومتى ما يئسوا منها زالت رغبتهم فيها وقل اهتمامهم بها

هذه حجتي وليست بصغرى وقد كان فيها وحدها كفاية لتصدني وتعفيني من قبول هذه الرتبة · ويضاف اليها غيرها مما

ليس دونها · وان سألت عنها اجبتك انه يجب ان يكون الاسقف يقظاً نبيهاً فهيماً له ربوات من العيون ينظر بها الى كل جهة كانما حياته ما هي حياة من يحيا بمفرده بل حياة من هو بين خلق كثير وجم غفير · فاما انا لاجل رخاوتي و كسلي فبالكد فيَّ كفاية لعمل خلاصي وانت مقر بذلك وان كنت تخفي مناقصي لمحبتك لي · ولا تذكرن لي هنا الصوم والسهر والنوم على الارض و بقية تقشف الجسم لانك قد علمت وعرفت شيئاً من هذه وان كنتُ اتقنتُ هذه الفضائل غاية الاتقان واحكمتها غاية الاحكام لاني بسبب رخاوتي وفشلي ليس شيء منها يقدر ان ينفعني في ممارسة هذه الرئاسة لان الفضائل التي ذكرتها تنفع الانسان الذي حصر نفسه في بيت صغير وتوفّر نشاطه على ما يخص ذاته بل ينتفع منها منفعة كبرى · واما من برز الى الوسط بين خلق كثير و يحتاج كل يوم ان يصرف كل عنايته في سبيل كل واحدٍ منهم فاية فائدة تعود عليه في نمو وتكثير رعيته من هذه الفضائل ان لم تكن نفسه شديدة القوة حسنة الاضطلاع

ولا تعجبن مني ان طلبت فوق ما ذكرت شهامة النفس فان الازدراء بالمأكولات والمشروبات واطراح النوم على المضاجع اللينة فعلى ما ارى كثيرين يفعلون ذلك ولا سيما اذا كانوا

فلاحين او كانوا قد الفوا هذه الحال من اول سنهم · واعرف كثيرين غير هولاء بسبب قوة اجسامهم وعاداتهم عليها قد تسهلت لديهم مباشرة هذه الامور الصعبة بالامساك عن الطعام والشراب وعن النوم على المضاجع اللينة · فاما احتمال الهوان والاضرار وما خشن من الكلام وما يبديه الادنياء من التعييرات والهجو المطلق جزافاً والملامات الصائرة باطلاً من الرؤساء والمرؤسين وما يصير من هذا في غضون المحاكمات فلا يقدر على احتمال ذلك كثيرون وربما قدر عليه الواحد او الاثنان من الناس · ولقد يرى الناظر ان الذين هم اشداء اقوياء على التقشف وخشونة السيرة على ما تقدم به القول اذا امتحنوا بهذه يُرون منخذلين عاجزين عنها وهائجين كوحوش ضارية · ومن كانوا بهذه الصفة يجب صدهم ومنعهم من الدخول الى مقدس الكهنوت · فاذا كان الاسقف يفرط في استعمال الطعام او كان لا يمشي حافياً فلا يعود هذا بضرر على الرعية · واما افراط الغضب وشدة هيجانه فقد يؤذي نفس صاحبه ويسبب للجماعة مصائب وافرة · وما تهدد الله تعالى ولا توعد من لم يصم ولا من مشي بغير احذية فاما الذين استعملوا الغضب ولو احقره فقد توعدهم بنار جهنم · وكما ان عاشق المديح الباطل متى نال الرئاسة على كثيرين يكون

قد اعطى النار مادة عظيمة هكذا الذي لا يستطيع ان يكظم غيظه ويمسك نفسه في محاورته مع اقرب الناس وادناهم اليه ويفرط منه الغضب بسرعة فكيف تكون حالته اذا اؤتمن على رئاسة خلق كثير انما تكون صورته صورة وحش هائج اذا نخز من ربوات الناس من كل جهة وحيث لا يمكنه الفرار فيوصل شروراً كثيرة الى من قد اؤتمن عليهم · اذ كان من شان الغضب الفاقد النظام تكدير العقول والاذهان ولا سيما متى زادت سورته لان الحكيم يقول الغضب يهلك العقلاء (ام ١٥ : ١)

لان النفس تظلم منه وكانها تحارب في ظلام مظلم ولا تجد السبيل لتفرق بين الاصدقاء والاعداء ولا تقدر على تمييز الكرام من الادنياء بل تكون الجماعة كلها عندها في صورة واحدة وتنظر الجميع بعين واحدة · واذا اتفق لها شيء ردي ضار فترضى ان تتجرعه حتى تكمل الشهوة به لان الغضب شيء من اللذة فيغصب النفس ويقسرها في سبيل هذه اللذة ويفسد جميع نظامها ويقلقها ويشوش ترتيبها ويجعل حالها ما فوق اسفل وبالعكس · لانه باسرع مرام يخرج صاحبه الى الابهة والعجرفة والى عداوات لا وجه لها والى بغض لا حد له ويبعث مستعمله على مصادمات

باطلة وملاحمات متصلة ويحمله على فعل اشياء كثيرة مضاهية لما قلنا ويجعله ان يقول ويفعل ما لا يحسن اذ كانت النفس قد خرجت به عن الصواب وانقادت بسورة الآلام والانفعال ولا تجد محلاً تسند اليه ضعفها فلا تقدر ان تقاوم سورة تفاقم شرها

قال باسيليوس الا انني ما بقي فيَّ قوة لان احتملك وانت موغل في هذا الكلام بذم نفسك وتحقيرها لانه من من الناس ما عرف ان بينك وبين هذا بوناً بعيداً

فاجبت قائلاً اتريد ان تدنيني من هذه النار يامغبوط وتهيج هذا الوحش الساكن وتثيره اتجهل اني ما اتقنت الذي اتقنته عن فضيلة في نفسي بل من توفري وحبي السكوت ؟ ومن كانت هذه الحال حاله فالافضل له والاجدر به ان ينفرد بنفسه او لا يعاشر الاَّ واحداً او اثنين من الناس ليقدر ان ينجو من هذا الحريق . وماذا يا ترى تكون حال من زج نفسه في لجة عظمى من الاهتمامات لانه في ذلك الوقت لا يجر نفسه بمفردها بل يجر معها اخرين كثيرين ويلقيهم في جرف الهلاك اذ يقابل اهتمامهم بكسله لانه على اكثر الامر من شان المرؤسين ان يتخذوا اعمال الرؤساء وينظروا اليها كمثال ونموذج وما يصعب عليهم التشبه بهم . فكيف يمكن لانسان منتفخ ووارم ان يسكّن اورام غيره

ويلطفها · ومن من الرعية الكثيرة يصيّر وديعاً وقد راى وعاين الرئيس غضوباً · ولقد امتنع كل الامتناع كتمان واخفا مناقص الكهنة بل ان صغيرها وحقيرها يظهر بسرعة · فان المجاهد ما دام جالساً في منزله غير ملاحم لغيره ولا مشابك لسواه قد يمكن ان تخفى حاله ولو كان اشد الناس ضعفاً لكن متى تجرَّد وبرز للمكافحة فتظهر حاله ويفتضح امره بفشله · وكذا تجري حال من كانوا عن الجماعة منفردين وللعيشة الساكنة ملازمين فبوحدتهم وانفرادهم ينسبل عليهم حجاب الخفاء وتستر عوراتهم فاذا برزوا الى الوسط والقوا عنهم ثوب الوحدة والانفراد وخلوه فبلازم الضرورة ان ما يصدر عنهم من السورات والحركات يظهر حالاً وتكون نفوسهم عارية مجردة · وكما ان مناقب كثيرين نفعت غيرهم وجعلتهم منافسين بها ومتشبهين بمحاسنها وبجمالها هكذا مناقص ذوي الرذائل قد تبعث من كان كثير الكسل ان ياتي من الاعمال ما هو بعيد من الفضيلة وتجعله ان يتراخى في عمل ما يتوخاه افاضل الانام · ولذلك ينبغي ان تلمع نفس متقدم الجماعة وتتلألأ نوراً من سائر الجهات لكيما يستطيع ان يبهج وينير نفوس الناظرين اليه

اما هفوات ادنيا الناس ومن لا يعبأُ بهم فكانها في ظلمة

مظلمة لا يخرج ضررها عن فاعلها ولا يتعداه· واما زلة الرجل النبيه الشهير عند الجماعة فان ضررها يعم الجميع كان متوانياً باغضاً والاتعاب فتزيده كسلاً وفشلاً في عمل الخلاص ومن كان يقظاً فطناً فتحمله على الابهة والتكبر على غيره · واما سقطات الادنيا ولو ظهرت في الوسط فلا تطبق المفصل ولا تجرح جرحاً بالغاً والجالسون على ذروة هذه الرتبة قد اشهروا نفوسهم للكل واظهروها للجميع فلو عرض لهم ان يهفوا اصغر هفوة لكانت هفوتهم تبين عند الكل كبيرة وعظيمة لان الناس لا ينظرون الى مقدار الهفوة بل يلاحظون منزلة مرتكبها وبحسب منزلته يحكمون على جرم هفوته· فالخليق بالكاهن ان يتسلح من كل جهة بسلاحات من الالماس البهي الساطع وينظر لكل شيءٍ بجد وتيقظ ويزيد في تنظيف عيشه لئلا يجد فيه الراصد موضعاً مجرداً فيجرحه فيه جرحاً خطراً بالغاً لان الجماعة المطيفة به قد وقفت متاهبة مستعدة لطعنه واسقاطه ليس من اضداده فقط بل من الملاقين المتظاهرين بالصداقة والمحبة

ولقد يجب ان نختار رجالاً كاولئك الفتية القديسين الذين حفظت اجسادهم بنعمة الله في الوطيس البابلي سالمة لان غذاءَ هذه النار التي يتقلب فيها الكاهن ليس هو من زرجون

ولا من زفت ولا مشاقة بل هو امض واحدّ واشد فعلاً منها وان كانت اكثر خفاءً من النار محسوسة · فانه يحدق بهذا الرئيس لهيب الحسد الآكل كل شيء ويسري فيه ويرعاه من كل جهاته ويرتفع فوق راسه لينقض عليه ويفعل فيه باشد مما فعلت تلك النار البابلية باجساد اولئك الفتية الضوية · فاذا وجدت هناك ولو اثرًا صغيرًا علقت به بسرعة وافنت واحرقت كلما كان في ذلك البيت ضئيلاً وسوّدت الباقي ولو كان ابهى من الشمس · وما دام الكاهن يسير سيرًا جيدًا حسناً فالاغتيالات لا تقدر عليه · لكن ان عرض له ان يهمل ويغفل عن صغير اموره حسبما يمكن ان يتفق لهُ بما انه انسان في هذا العالم الكثير الاخطار ما ينتفع بعد هذه الهفوة الصغيرة شيئاً من بقية فضائله ولا يمكنه معها ان يسد افواه مختصميه وثالبيه · وهذه الهفوة الصغيرة تكسف جميع فضائله فينهض الجميع لمحاكمة الكاهن ويطلبون منه ما ليس في وسع الطبيعة البشرية كانه ملاك عادم الضعف البشري · وكما تكون صورة المغتصب المتمرد تكون صورته عندهم لان المتمرد ما دام مستولياً ومستعلياً على التمرد فالجميع يخافون منه ويتملقونه لاجل ضعفهم وتقصيرهم عن قلعه وحطه عن منزلته فاذا زالت

عنه سلطته يظهر بغتة الذين كانوا من زمان يسيرٍ يداهنونه ويكرمونه فيكاشفونه بالعداوة ويثبون عليه بجميع هفواته وسقطاته ويخلعونه ويهدمون اغتصابه هكذا تجري الحال في الكهنة الذين كانوا في ايام رئاسته وتكهنه يكرمونه ويخدمونه من مدة يسيرة فاذا وجدوا منه ما يوذونه به نكّلوا به باشد من تنكيل اولئك القوم بالمغتصب المارد الذي ذكرناه · وكما ان ذاك يخاف ويفرق من الذين يحرسونه هكذا هذا يجزع ويفزع ممن قرب منه ومن المشاركين له في خدمته بل من هولاء يجزع اكثر من سواهم لان الغير لا تشرأبّ نفوسهم الى رئاسته ولا يعرفون اموره مثلهم · فاما الذين بقربه فاذا عرض له هفوة يشعرون بها قبل غيرهم ويمكنهم بسهولة ان ينكّتوا عليه بها فيؤكدون ويعظمون ما صغر من هفوته ويستولون عليه بها

لان القول الرسولي انعكس في وقتنا هذا وهو متى تالم عضو من الاعضاء تتألم معه جميع الاعضاء ومتى تمجد عضو واحد فجميع الاعضاء تشاركه في المسرة وتساهمه فيها (١ كو ١٢ : ٢٦) فان كان يستطيع بتقاه وورعه الكثير ان يقف قدام هذه الامور التي قلناها فذاك بحسب ظني هو الفاضل والا فقد هلك

أَترى ان ترسلني الى هذه الحرب وتظن فيَّ كفاية لمكافحة هذا القتال الكثير الفنون الغزير الانواع فمن اين لك هذا ومن اين عرفته وعلمته· وان كان الله تعالى انذرك به فأَرني الوحي لاقنع به· وان كنت ما امتلكت هذا الامر بل توجبه عليَّ من اعتقاد البشر فاقلع عن انخداعك هذا وتيقن كلامي لان الاولى ان تصدّق اقوالي اذ كان لا يعرف بامور الانسان الا نفس الانسان (١ كو ٢ : ١١) فان كنتُ فيما سلف من كلامي ما اقنعتك باني لو كنت تقلدت هذه الرئاسة لكنت جعلت ذاتي ومن انتدبني ضحكة وكنت بغرامة كبرى رجعت الى ما انا عليه الان· فالان على حسب ظني قد اقنعتك باقوالي هذه لان رغبة ومحبة هذه الرئاسة لا تثير الحسد فقط بل ما هو اشر منه بكثير ومن شانها ان تُسلّح كثيرين على من قد نالها ووصل اليها وكما ان محبي الفضة من اولاد الناس يستثقلون شح ابائهم ويتكرهون من طول اعمارهم هكذا يصيب بعض المرؤوسين من الاسقف متى ما رأوا مدته طالت واستقبحوا قتله فانهم يسعون لخلعه وكل واحد يشتهي ان يكون بموضعه وكل واحد يرجو ان تنتقل الرئاسة اليه

ثم أَتشا ان أُريك نوعاً اخر من انواع هذه الحروب مملوأً

من الاخطار والاهوال هلم واحضر الاعياد الحافلة التي فيها قد جرت السنَّة بانتداب من يصلح للرئاسة الكهنوت فترى ثم الكاهن مرشوقاً بمثالب كثيرة بعدد كثرة المرؤُوسين له لان الذين أُعطي لهم هذا ينشقون الى اقسام كثيرة و يشاهد المشاهد مجمع القسوس كانتهم مختلفة ورأْيهم ليس واحداً ولا يعولون على واحد يصلح للاسقفية فيتفقون عليه بل ترى هذا يختار ذلك وغيره يختار آخر وسبب اختلافهم ان نظرهم وقصدهم ليس قصداً واحداً باختيار اللائق وطلب فضيلة النفس بل تكون عندهم اسباب وعلل غيرها فيقول احدهم يجب ان يختار هذا و ينتدب لانه شريف الحسب والنسب · واخر يقول يجب ان يختار هذا لانه ذو مال جزيل ولا يحتاج ان ياكل من مال البيعة · واخر يقول هذا قدم الينا من عند الاعداء ونبذهم فيجب ان يختار و كل احد يروم تقديم من يتخصص به واختيار من ينتسب اليه واخر يحاول تقديم ذاته ولا يريد احد اختيار من يصلح لذلك او من كان فاضلاً · واما انا فاظن ان كل هذه الاسباب ناقصة لا يعول عليها في اعتبار الكهنة وانتداب احدهم لهذه الرئاسة ولو كان ذا تقى كثير وليس من العدل اختياره لتقاه لا غير اللهم ان يضاف الى تقاه حصافة وسداد فقد شاهدت في عمري

كثيرين ممن حجروا ذواتهم في محال ضيقة وقضوا زمانهم فيها واضنوا اجسادهم بالاصوام ولما كانوا مهتمين بما يتعلق بنفوسهم فقط كانوا من الفائزين عند الله والناجحين ومزيدين في كل يوم الى تفلسفهم زيادة بينة . فلما ارتفعت مكانتهم بهذه الرئاسة ودخلوا بين الجماعات ولزمهم تثقيف جهل كثيرين فبعضهم اذ لم يكن فيهم كفاية لمثل هذا الحمل رزحوا تحت ثقله من اول وهلة . وبعضهم اذ أُكرهوا على الثبات والبقاء فيه اضاعوا تثقيف نفوسهم وتحرير سيرتهم الاولى وخسروا من ثم خسراناً مبيناً وما اتوا غيرهم بمنفعة ولا عادوا عليه بطائلة

ولا يجب ان نغتر بمن قد قضى زمانه في خدمة أَوّل درجة من الكهنوت ووصل الى الهرم وغاية الشيخوخة في خدمته لها فنحتشمه لشيخوخته وننخدع بطول عمره فنرقيه الى المنزلة العالية الشريفة . لاننا من اين نعلم ان كان في المستقبل يكون موافقاً وملائماً لها . ولا اقول هذا القول قاصداً به سب الشيخوخة وامتهانها ولا اسنُّ سنةً امنع بها من اتى الى هذه الرتبة من زمرة الرهبان وحائلاً بينهم وبين هذه الرئاسة والسياسة لانه قد اتفق كثيراً لمن رقي اليها منهم وتولاها ان اشرق فيها وجملها غاية الجمال . وانما قصدي ان أُري ان لا التقى بمفرده ولا كبر السن

والهرم فيهما كفاية ان تظهر مقتنيهما اهلاً للكهنوت لان الاسباب التي قلناها قبلاً تمنع ذلك ولا تفسح له فيه

وقوم يضيفون الى تلك الاسباب غيرها اقطع واشنع منها وهي قولهم يجب ان يحصى هولاء في جملتنا حتى لا يصيروا الى حزب اعدائنا · وغيرهم يقول يجب ان ينتدب هولاء لاجل خبثهم حتى لا يرتكبوا شروراً اعظم متى طرحوا ونبذوا · يا ليت شعري اي شيء يكون في الخروج عن الواجبات والمفترضات اقبح من هذا الصنيع وهو ان يقدموا اناساً اشراراً مفعمين من القبائح فيختاروا لهذه العلة التي يجب لاجلها ان يحكم عليهم بالعقاب واليم العذاب ولاجلها كان يجب ان يمنعوا ان يطئوا اعتاب البيع ايليق ان يرتقوا اعلى رتب الكهنوت · ونطلب معرفة السبب في سخط الله علينا بعدما قلدنا هذه الاشياء المقدسة الرهيبة لاناس بعضهم اشرار و بعضهم غير صالحين لها فافسدوها واستهانوا بها · لانه اذا تقلد هذه الامور قوم لا يصلحون ولا يليق بهم شيء فقد تقلدوا ما يفوق طاقتهم وقواهم · ومن هنا صارت امور البيعة لا تفرق بينها و بين تلاطم مياه الانهار التي لا تسكن ولا تهدا · ولقد كنت فيما سلف اضحك على الملوك الذين يوزعون الرتب و يكرمون بها قوماً لا فضل لهم الا انهم شيوخ او

ذوو ثروة او لانه تشفع بهم قوم من ذوي الشان او لانهم من
الخلان · فلما سمعت بان هذه القباحة قد هبّت في محلنا ودنت الينا
فما عدت استعظم ذلك اذ لا يستعجب هذا من قوم منعكفين
على امور الدنيا مغرمين بالمجد والمديح ويقصدون في جميع
ما يعملونه اخذ المال والحطام وغير مستنكر منهم ان يغلطوا هذه
الغلطات لكن العجب من ان القوم المتصفين باطراح ما ذكرنا ونبذه
الذين لا فرق بينهم وبين اولئك ومع جهادهم في الامور السماوية
ينظرون في امور الارض وقسمتها ومساحتها ويفوّضون الامور
السماوية جزافاً الى قوم جهال مستاجرين ويعوّلون عليهم فيها
وابن الله تعالى الوحيد الجنس من اجلها ومن جرائها
انحدر من علو مجده وصار انساناً واتخذ صورة عبد وتفل عليه
ولطم ومات الميتة الشنيعة ذات التعيير ولم يستنكف من ذلك
بل احتمله بالجسد الذي لبسه وهولاء لا يقفون عند هذه الحدود
التي ذكرناها بل يضيفون اليها غيرها في غاية القباحة والشناعة
وذلك انهم لا يكفيهم انتدابهم لغير المستحقين بل ينفون
ويبعدون المستحقين المضطلعين بهذه الخدمة وكانهم يقصدون
بالوجهين فساد امور الكنيسة وكأنَّ اعتمادهم الاول ليس فيه
كفاية لاشعال سخط الله فيريدون ان يضيفوا الى قبح فعلهم

الاول فعلاً ثانياً ليس باقل شراً منه اذ كان شر هذين العملين متساوياً وهو صدهم للنافعين المضطلعين وانتدابهم للفشلين الذين لا ينتفع بهم · وانما يفعلون هذه الافعال حتى لا يبقى لرعية المسيح عزاء ولا راحة · اترى هذه الافعال الوخيمة لا تستحق ربوات من الصواعق اشد عذاباً من نار جهنم التي تهددنا بها كتب الله المقدسة · لكن الذي لا يشاء موت الخاطي وهلاكه بل يشاء رجعته وحياته يحتملنا ويصطبر على هذه الشرور · وكيف لا يعجب المتعجب من افراط محبته للبشر وطول اناته وذلك ان حزب المسيح يفسد امور مملكته باكثر مما يفسدها الاعداء المقاتلون ويظهر الله صلاحه مع هذا ويدعونا الى التوبة · المجد لك يا رب المجد لك ما اغزر واعظم لجة محبتك للبشر وما اوفر ثروة صبرك وحلمك على الذين اكرمتهم ورفعتهم الى اسمى ما يكون وشرفتهم بعد ان كانوا ادنياء حقيرين واستعملوا اكرامك لهم واستعانوا به على اهانتك وتجاسروا على ما لا يجب التجاسر عليه وامتهنوا القدس وازدروا به بابعادهم الفضلاء واخراجهم الاكفياء حتى يفسحوا للاشرار ان يفعلوا ما ارادوا ويقلبوا نظام الامور

وان شئت ان تعلم اسباب ذلك فتجدها مشاكلة لما تقدم

او كما يقول البعض ان اصلها وعرقها واحد وهو الحسد وهذه الاسباب ليست بصورة واحدة بل هي مختلفة وذلك انهم يقولون يجب ان يُبعد هذا لحداثة سنهِ · ويجب ان يقصى ذلك لانه لا يتملق ولا يداهن · وينبغي ان ينبذ الاخر لانه قاوم لفلان والواجب ان يخرج ذاك لئلا يحزن فلان متى راى من اختاره منبوذاً مفسلاً وغيره منتدباً · وفلان لا يصلح لانه غير لطيف ولا كريم وفلان لا تليق به هذه الرئاسة لانه هائل وشديد على من يهفو هفوة · واما الوداعة والاستقامة ومقاومة الرذائل وتوبيخ الاشرار فهي عندهم علل تبعد صاحبها من هذه الخدمة وتقصيه وغير هؤلاء يقولون ايضاً لا يصلح فلان لعلة اخرى غير هذه يتعللون بها لان العلل عندهم كثيرة لا تعدم ويجدون منها ما طلبوا · واذا اعوزتهم حجة لابعاد من كان جامعاً لكل المحامد والصفات الحسنة تعللوا محتجين بغير طريقة و بوجه مختلف عما تقدم وقالوا انه لا ينبغي ان يرفع الى هذه الكرامة حالاً وعلى عجل بل رويداً رويداً وعلى مهل والغاية انهم يجدون عللاً وحججاً كثيرة غير ما ذكرنا

فماذا يجب على الاسقف ان يعمل وقد احاط به محاربون هذا عددهم و كيف يستطيع مقاومة هذه الامواج و كيف يقدر

ان يدفع عن نفسه هذه المصادمات ؟ لانه ان دبّر تدبيراً احسنا هاج اعداءه واعداء الذي اختاره وقاوموه له ولمن اختاره وعملوا جميع ما يضادونه ويشغبون عليه وعلى المنتدبين له بتعييرات كثيرة ولا يزالون هكذا الى ان يخرجوه ويدخلوا من يريدون ويجري حاله حال نوتي في سفينة سائرة في البحر واللصوص يسحبون معه فيها ويغتالون النوتية ويعملون عليه وعلى ركابها في كل يوم فان آثر مرضاتهم على خلاصه وقبل من لا يجب قبوله فقد اتخذ الله عدواً لهُ واستبدل بـه عداوة هولاء · ويا له من امر ردي ما اصعبه اذ تؤول حاله معهم الى ما هو اردى واصعب من الاول اذ يتظافرون فيقوون كلهم عليه ويدعونه في شر حال لانه كما ان الامواج المتلاطمة متى قرع بعضها بعضاً وكانت اللجة ساكنة تهيج بغتة وتتصاعد وتتفاقم فتهلك المسافرين جميعهم هكذا يجري حال البيعة الساكنة متى دخلها قوم فاسدون ومفسدون فانها تمتلىء من الزعازع والمعاطب

فاخطر ببالك اذاً كيف يجب ان تكون صورة العتيد ان يقاوم هذه الاشياء ويحتاج ان يصلح هذه العوائق ويبدلها بما يوافق لانه يجب ان يكون ظريفاً غير صلف ورهيباً ووديعاً ورئيساً ومتنازلاً ومخالطاً وغير محابٍ وبصيراً بما يعود لصلاح

الكثيرين ومتمسلناً وغير مستعبد والخليق به ان يكون صارماً ووديعاً معاً حتى يمكنه ان يمارس هذه الامور كلها ويقاومها بسهولة وان يقدم الكفوء والمضلع بسلطة وقوة ولو قاومه الكل والا يقبل من ليس فيه كفاية واضطلاع ولو اتفقوا على انتدابه بل يجب ان يقصيه و يبعده بصرامة سلطته ولا يكون نظره الى شيء اخر الا الى هذا الامر وحده وهو تشييد بيان الجماعة ولا يعمل شيئاً على سبيل الصداقة والعداوة

اترى ما اقنعتك باني فعلت حسناً باعتفائي من هذه الخدمة على اني ما شرحت لك جميع الامور التي تتعلق بها شرحاً مستوفى اذ كان عندي اكثر مما ذكرت ولا تضجر من صديق صادق يجب ان يقنعك و يبرّر نفسه مما تشكو منه لان الذي اورده ليس نافعاً في الاعتذار فقط بل فيه جدوى وعائدة كبيرة لصالح وتدبير هذه الخدمة لان الضرورة تلزم العتيد ان يسلك في طريق هذه السيرة ان يكشف جميع الامور كشفاً حسناً قبل ان يمارس هذه الخدمة وان سالتني لماذا اجيبك لئلا يستغرب ولا يستعظم امراً من الامور ولا يستهوله اذا عرض له اذ كان قد سبق وتصورها كلها وعلمها بايضاح وافصاح

اتشاء اولاً الاعتناء بالارامل او الاهتمام بالعذارى البتولات

او تؤثران ترى الضرورة الداعية الى مجالس الحكام لان في
كل واحد مما ذكرنا اهتمام مختلف عن غيره واعظم من الاهتمام
الجزع والفزع ولنجعل فاتحة كلامنا في المظنون به عند الاكثرين
انه اسهل الامور الثلاثة التي ذكرناها وهو خدمة الارامل اذ كان
يظن عند المهتمين بهنّ انه لا يتعدى الانفاق عليهنّ . وحقيقة
الامر ليست كذلك بل الاهتمام بهن يحتاج الى فحص جزيل متى
دعت الضرورة الى اثباتهن واحصائهن لانهن ان احصين واُثبتن
كيفما اتفق فيكون هذا الفعل سبباً لشرور كثيرة وقبائح غزيرة
اذ قد عرف ارامل افسدن منازل كثيرين وسبّبن الطلاق
لازواج اخرين واخذن بسرقات كثيرة وقبض عليهن بغيرها من
الامور الفظيعة الشنيعة . فمن يقيم بتدبير من هن بهذه الصفات
وينفق عليهن من مستغلات البيع ومداخيلها فعليه من الله
حساب وعقاب ويسبب لنفسه من جميع الناس الملامة والعتاب
ويرخي نشاط القوم الذين يؤثرون عمل الحسنى وفعل الجميل
لانه من الذي يرضى ان ينفق ما اوقفه وافرده للسيد المسيح
ويصرفه ليعول به نسوة دنسنَ اسم المسيح ؟ ولذلك يجب الفحص
الشديد والبحث الزائد الحميد حتى لا يقام بمن هن بالصفات
المذكورة ولا باللواتي يستطعن ان يقمن بنفوسهن لئلا يضايقهن

الغير على قوتهن · ومن بعد هذا الفحص الشافي يجب ان يتبعه اهتمام اخر ليس بدونه وهو ان يكون غذاؤهن يدر عليهن ادراراً متصلاً حتى لا يعوزهن شيء البتة كانه جاري من عيون نابعة لا تنقطع لان الفاقة التي هي بغير اختيار غير مشكورة ولا تحتمل فالحاجة ماسة اذاً الى سداد وحصافة والى جد شديد ليسد به كل فم و بصد كل احتجاج مفضٍ الى مثلبة وتجديف

وقد جرت عادة الاكثرين من الناس انهم متى راوا انساناً كبير النفس مزدرياً بالمال يحكمون عليه بانه يصلح لهذه القهرمة فانا لا اظن ان نزاهته عن المال و كبر نفسه كافيان لهذه الخدمة بل يجب ان يكون نزيه النفس و كبيرها في جميع الامور كلها جليلها وحقيرها لانه متى عدم ذلك فالاحرى به ان يدعى ذئباً خاطفاً لا راعياً صالحاً واذا كان كبير النفس يجب ان تكون فيه الخصلة الاخرى المسببة للناس جميع الصالحات وهي الحلم والاناة فان هذه الخصلة تفضي بالنفس الى ميناء هادي امين لان الارامل بسبب الفقر و بسبب السن و بسبب الطبيعة يكون كلامهن بلا معنى ولا ضابط والاولى ان يقال انهن يصرخن لغير موجب و يندبن و ينحن لغير سبب و يلمن على ما كان يجب عليه الشكر و يثلبن تلك الامور التي كان يجب ان يحسن

قبولها بالحمد والشكر. فمن هنا يلزم قهرمانهن المعتني بامورهن ان
يحتمل و يصطبر على جميع ما يبدو منهن بطول روح وشجاعة وان
لا يحتد ولا يخرج عليهن لاجل ما يزعجنه به في غير موضعه لانه
من الواجب رحمة الارامل لاجل شقاء بختهن وما اقبح شتمهنَّ
والازدراء بهن وما اشنع واوجع تقريعهن بالفقر وذكر مصائبهن
ولذلك احد البارعين في الحكمة لما راى محبة المال والازدراء بالطبيعة
البشرية ونظر طبيعة الفاقة تمس النفس الشجاعة الباسلة وتبعثها
على اطراح الحياء في طلب ما تحتاجه وحتى لا يغضب الانسان
متى طلبن منه ولا يحتدم متى لححن عليه وحتى لا يكون الانسان
المعيَّن لهن والمعتنِ بامورهن محاربًا لهن ومضادًا لهن يحكم بانه يجب
ان يكون لطيفًا وديعًا حسن الملقى للطالب فيقول امل اذنيك الى
المسكين ولا تحزنه بشيء واجبه جوابًا لطيفًا ذا سلم بوداعة ولين
جانب (سير ٤ · ٨) فان هذا الحكيم نكب عن المحتدّ الذي يمنع
ويصد (لانه ماذا ينبغي ان يقال لمن قد القي مضجعًا) ووجه
كلامه الى القادر على احتمال ضعف المسكين راغبًا اليه ان
ينعشه ويقيمه من مضجعه فيقول لك يجب ان تلقاه بوجه طلق
ولين كلام قبل ان تمنحه شيئًا

ومتى كان الانسان لا يختزل من مالهن شيئًا ويعيّرهن

ويشتمهن ويحتد عليهن فلا يخفف عنهن كآبة الفاقة فقط
بل يكون قد زادهن على ما هن فيه من المصائب والمعاطب اشتمه
لهن ولذلك يزداد انقاحهن عليه لشدة حاجتهن الى ما يسد
جوعهن · لانه يثقل عليهن الامتهان والازدراء فان الجوع
الذي يحملهن على تكرار الطلب والانقاح يجلب عليهن الامتهان
والاحتقار وقوة الحزن المتلونة تجلب لنفوسهن ظلاماً وقتاماً · فما
اليق بالمهتم بهن ان يطيل اناته عليهن الى حد انه لا يكتفى منه
بالا يزيد احزانهن باحتداده عليهن وتضجره منهن بل يطلب منه
ان يسكّن احزانهن بتعزيته وتسليته لهن لانه كما ان المشتوم لا
يحس بما يعطى لاجل ما جرح به من الشتم هكذا الذي يسمع
الكلمة اللينة ويقبل التسلية الحسنة يقبل ما يعطى فرحاً مسروراً
ويكون ما منح له على هذه الصفة قد قبله مضعفاً · وما قولي هذا
من ذات نفسي بل اتنغم به مما قاله الذي وعظنا سابقاً فانه يقول
هكذا ايها الولد لا تشن عمل الصالحات بالمذمومات وفي جميع
عطائك لا يبدر منك لفظة محزنة وكما ان الندى يذهب بالحر
هكذا الكلمة الجيدة افضل من العطية وكلاهما عند الرجل المنعم
عليه سواء (سير ١٨ : ١٥)

وما يقتنع من الرجل المقدم في الكهنوت المهتم بالارامل

بالوداعة والرفق بل ينبغي له ان يكون حسن التدبير جيد التقدير فانه ان عدم هذه الخصلة فامور المساكين تؤول الى الخسران لانه اذ قد اوئتمن على هذه الخدمة بعض الناس واحتشد مالاً جزيلاً ولم ياكل منه شيئاً ومع ذلك ما انفق منه على المحتاجين اليه لا قليلاً بل حفر لمعظمه ودفنه الى ان دار الزمان بحادث صعب وجاء وقت الحرب فاخذ المال المدفون وسلمه الى الاعداء المحاربين فالحاجة ماسة اذاً كثيراً الى التدبير السديد والتقدير الحسن حتى لا يفضل ولا يزيد شيء من مستغلات البيع ولا يحتاج الى شيء بل ينبغي ان يعطى ما يستدر منها اولاً فاولاً ويدفع الى المحتاجين ويحتاط على كنوز الكنيسة وما يلزم لضيافة الغرباء ومعالجة المرضى فكم يقتضي هذا العمل من السداد والحذر في المتقلدين تدبير هذا الامر الذي ليس باقل اهمية من المتقدم بل له الشان الاكبر بعض الاحيان اذ لا ينبغي ان ينقص الخارج عن المستقرّ بل يجب ان يكون الداخل اكثر وازيد بحكم الضرورة احتياطاً للحاجة التي لا بد من وقوعها . ويجب ان يكون المتقلد لهذا الامر سمحاً وان يعتمد في جميع اموره السخاء بعقل وصواب وينبغي ان يعطي بكرم نفس وبشاشة ولا يحزن احداً بدفع ما يبذله له اصحاب الاحسان ليصرفه في هذا السبيل لراحة المرضى لا لعذابهم وازهاق

ارواحهم · والاليق به ان يكون في هذا الامر طويل الاناة ونشيطاً نشاطاً وافراً لان المرضى عسروا الرضا · ومن لم يهتم بكلما يحتاجونه اهتماماً وافراً فالشيء الحقير الذي يهمله يسبب لهم ضرراً عظيماً

واما ما يتعلق بالعذارى فان الفزع والوجل عليهن اعظم واشد بمقدار ما انهنّ اشرف واكرم لان قطيعهن قطيع ملوكي · وقد احصي في زمرة هولاء القديسات نساء مفعمات من القبائح وهن سبب لشرور كثيرة تصير في هذه الحظيرة فكم يجب من البكاء على هذا الامر · وكما انه لا تتساوى خطية الفتاة الشريفة وجاريتها هكذا لا تتساوى خطية البتول والارملة فالارامل من شانهنّ الهذر في الكلام والتهكم والسب والملق واطراح الحياء والتنقل والتجول في كل موضع · واما البتول فقد تخصصت لامور اعظم ونافست في الفلسفة العليا ووعدت انها تستسير بسيرة الملائكة وهي مربوطة بهذا الجسد تستطيع ان تضاهي القوى العادمة الاجسام · واذ وضع لها هذا الوضع فلا يليق بها الخروج والدخول الكثير الزائد عن الحاجة ولا يحسن بها ان تتلفظ بكلمة في غير موضعها · واما المسبات والمداهنة فلا يجوز لها ان تعلم منها شيئاً حتى ولا اسمها ولذلك هي محتاجة الى احتراس شديد وصيانة كاملة وعناية وافرة لان عدو القداسة يقف بهنّ

متاهباً دائماً لابتلاع من يسقط منهن او يزلق · ومع هذا كله ما اكثر الناس المغتالين لهن · ومعما قلنا ما اصعب حربهن لخنق الطبيعة اللازم الملازم لهن فان قتال هذا الجنس مزعج ومضاعف فعدو يصادم من خارج واخر يرهق ويقلق من داخل ولذلك خوف المعتني بهن كثير وجزيل والخطر عليهن اعظم والتوجع عليهن اجزل متى لا سمح الله حدث شيء بخلاف المراد لانه ان كانت البنت سهراً خفياً لابيها واهتمامه بها يطرد النوم من عينيه لتبقى بتولاً عذراء (سير ٤٢ : ٩) وفزعه عليها هذا المقدار مقداره فماذا تظن في من خوفه لا يشبه شيئاً مما ذكرنا بل يكون جزعه اوفر واهتمامه اكثر لانه متى عرض لهذه البتول عارض فليس المستهان به انساناً بل المسيح نفسه وليس الافتضاض الجاري عليها يقف عند التعييرات بل المصيبة تؤول الى هلاك النفس لانه يقول ان كل شجرة لا تثمر ثمرة صالحة تجز وتزج في النار (مت ٣ : ١٠) واذا بغضت هذه البكر عريسها وخطيبها فيجري في امرها ان تعطي كتاب طلاقها وتنصرف لكن البتول تعطى الطائلة عن بغضها لختنها يسوع عقاباً دهرياً وعذاباً ابدياً

وما اسهل على الاب الطبيعي حفظ ابنته وصيانتها لان اشياء كثيرة تساعده على ذلك منها والدتها ومربيتها وكثرة

عبداتها وحجاب الظلام الذي يحجب البصر اكثر من حيطان منزلها اذا آثرت الا يبصرها احد وسوى ما عددنا فلا شيء مماذكرنا يضطرها لتظهر لانسان لا للاهتمام بشيء من الضروريات ولا لعمل شيء من المؤذيات ولا لغير ذلك اذ كان والدها ينوب عنها في كلما ذكرنا وليس يهمها سوى شيء واحد وهو الا تفعل امرا يشين جمال بتوليتها . واما هنا فما اكثر واصعب اهتمام والدهن بهن واولى ما يقال ان صيانتهن في حيز غير ممكن لانه لا يمكنه ان يلازمها داخل المنزل ولا يرابطها اذ كان ذلك لا يستحسن ولا يليق وملازمتها خطرة لانه اذا لم يخسر هو ولا هي شيئاً وكانا يقيمان سالمين لبراءة ساحتهما فعليهما ان يؤديا الجواب عن النفوس التي سجّسوها ويحملوا الطائلة عنها كما لو كان احدهما قد اخطى مع الاخر . ومن حيث ان مساكنتها وملازمتها غير مستطاعة فليس بمستسهل عليه ان يحتاط على حركات نفسها ليقطع منها ما كان ليس جارياً على نظام ولا اتقان وليزيد تجويداً وتثقيفاً ما كان منها منتظماً . وكذلك لا يقدر على مرافقتها ومراقبتها في خروجها ودخولها اذ كانت حاجتها الى من يعتني بها لا يمكن ان يفحص عنها الفحص الشافي ولا ان يطالب بتحرير ما يليق بجمالها واذ كانت قد اضطرت ان تخدم نفسها في

جميع الاشياء فمتى شاءت الا تعف فانها تجد اسباباً كثيرة لخروجها وتبذلها . فيجب على والدها ان يامرها ان تلازم البيت ويجب عليه ازاحة العلل والاسباب التي توجب خروجها وان يقوم بأودها وضرورياتها ويقوم بمن يخدمها ويجب عليه صدها عن التبهرج وحضور السهرانات وخروج الليل

لان ذاك الارقم الكثير الحيل يعلم ان يقذف سمه بوساطة الامور الجميلة الحسنة ومن ثم يجب ان نحتاط على البكر البتول من كل جهة وان لا تتمكن من خروج المنزل في السنة الا مراراً يسيرة ولضرورة داعية لا بد منها تضطرها للخروج

فان قال قائل انه ليس من عمل الاسقف شيء مما ذكرت فليعلمن قائل هذه الاقوال علماً يقيناً ان الاهتمامات بكل واحدة من هذه الامور ترجع في اخر امرها الى الاسقف. ولقد كان الانفع له كثيراً ان يمارس جميع هذه الامور بذاته ويتخلص من ذنوبها وطائلتها وهي لازمة له على كل حال. لانه متى اخطى فيها غيره فهو المطالب بها فمباشرته لها بذاته اجدى وانفع من ان يمارسها غيره وتكون تبعتها عليه وتطلب الطائلة منه عنها . ومع ذلك فمن باشر هذه الامور بذاته ينفذها كلها بسهولة زائدة . واما من باشرها بواسطة غيره فان الضرورة تدعوه ان يقنع اراء الكل

ليفعلوا هـذا وما يحظى براحة باكثر ممـا لو مارس بنفسه لكثرة من يخالف امره ولا يدخل تحت حكمه بل يباينه و يضاده٠ الا انني لا استطيع تعداد جميع الاهتمامات التي تتعلق بالبتولات لانه في وقت اثباتهن وقبولهن شغل شاغل للمتقلد لهذا الامر وفي اختيارهن وانتخابهن عرضة لعداوات كثيرة

وفي ممارسة امورهن والاشتغال بما يتعلق بهن صعوبات نظير التي تتعلق باحكام الامور المدنية لان معرفة الواجبات مستصعبة واصعب منها ان تثبت الحقوق لاصحابها وليس في هذا الامر صعوبة فقط بل فيه خطر وضرورة ليست يسيرة لانه قد نُظر قوم من الضعفاء لما وقعوا في امر ولم يحظوا بمعين ولا شفيع اضاعوا ديانتهم وكثير من المظلومين بغضوا من لم يساعدهم نظير مقتهم و بغضهم لظالميهم حيث انهم لم يشاءوا ان يفكروا لا في عدم استقامة الامور ولا في صعوبة الاحوال والظروف ولا في مقدار القوة والسلطة الكهنوتية ولا في شيءٍ آخر مما يشاكل هذه٠ فهم حكام غير متسامحين لا يقبلون عذراً الا انقاذهم مما نزل بهم من الظلم ٠ ومن لم يقدر على خلاصهم ولو اورد لهم ربوات من الحجج فلا يفلت من ملامهم

واذ كنت قد ذكرت العناية والشفاعة فهات بنا حتى

اكشف لك سبباً اخر للملامة وهو ان الاسقف متى لم يطف في كل يوم على منازل جماعته باكثر مما يطوف الذين يطوفون الاسواق فما اكثر من يلومه على ذلك و يصادمه بهذا الامر لانهم لا يريدون منك افتقادهم وبهم مرض فقط بل يطلبون ان تعاهدهم وهم اصحاء ايضاً وليس ذلك منهم لتقى او لديانة بل على الاكثر يريدون منك ان تفعل هذا حباً وكرامة لهم · فان دعت الضرورة لزيارة بعض الاغنياء والاقوياء لينظروا في امر فيه منفعة للعامة وللكنيسة فانهم في الحال يسدكون به الملق والمخادعة ومالي اذكر العنايات والتعاهدات لانهم من السلام نفسه يلزمونك ذنباً و يثقل ذلك عليهم حتى ان الكآبة تؤثر فيهم حتى انهم يتطلبون طائلة عن بسيط اللحظ والنظر وجميع ما يعمله الاسقف ببساطة يسبرونه بتحرير وتنقير و يبحثون عن مقدار ما ينطق وعن هيئة وجهه وعن مقدار ضحكه فيقول الواحد منهم لقد لقي فلان ضاحكاً ملء فمه بوجه بسيط وسلم عليه بصوت جهير وكان سلامه عليَّ دون ذلك وعلى عجل · وكثيرون يقولون في هذا الامر امتهاناً لانه اذا جلس بين قوم كثيرين لا تكون عينه مستقرة بل يطمح بصره الى سائر الجهات ويعم نظره الجميع اذا خاطبهم · فمن الذي يحتمل كل هؤلاء الاخصام

اذا لم يكن شديدالباس وقوي المراس ولا يترك لهم حجة يتعلقون بها عليه وكيف يفلت من احتجاجهم ؟ فينبغي له ان لا يكون له خصم ولا ثلاب مطلقاً . وان كان هذا غير ممكن فيجب ان يخلع عنه ما يرمونه به من الذنوب . واذ كان هذا امرًا غير مستسهل لانه يوجد اناس يلومون ويعتبون باطلاً وجزافاً وبغير حق ويسرون ويطربون بذلك فالخليق به ان يقاوم الحزن المتولد من ملامتهم بشجاعة والذي يشكو شكاية واجبة ان احتمل شاكيه بسهولة وكان ضميره يلومه ويثلبه يسهل عليه احتمال ثلابه . فاما من يُثلب تعمدًا وباطلاً ويكون ضميره لا يلومه بانه عمل منكرًا فما اسرع غضبه وما اسهل غمه وكآبته ان لم يكن قد سبق واستدرك ووطد نفسه على احتمال جهل الكثيرين لانه لا يمكن ان يُثلب الانسان باطلاً ولا يضطرب من همجية هذا المقدار مقدارها

وماذا يقول القائل في الاحزان التي يجب ان يصطبر عليها متى دعت الضرورة لان يقطع ولا تكمله البيعة . ويا ليت كان هذا الامر يقف عند الحزن لان فيه هلاك ليس بصغير لان الخوف عليه متى عوقب زايدًا عما يجب واقع به لا محالة ويصيبه ما قال المغبوط بولص فيبتلعه الحزن الزائد (٢ كو ٢ : ٧) .

فيجب هنا التحرير البليغ والتنقير المستوفى حتى لا يصير سبب المنفعة علة لخسارة اعظم · لانه ان اخطأ هذا بعد الشفاء فان كانَ الطبيب الذي ما بطه بطاً جيداً يشاركه في العطب عن واحدة واحدة من هذه الخطايا فكم من العقوبات يجب ان يتوقع الكاهن عما جناه ويلزمه القيام بالحجة عنه من العطب اللازم له عن خطايا غيره· لاننا اذا طولبنا بالقيام عما هفونا فيه واثمنا نرتعد ونقشعر كاننا غير قادرين ان نفلت من تلك النار فما تظنه يصيب الانسان الذي هو عتيد ان يقوم بالاحتجاج عن الجم الغفير والخلق الكثير · وقد يشهد على مقالي هذا بالصحة والتحقيق القديس بولص فاسمعه قائلاً بل اسمع المسيح الناطق بفمه قائلاً هكذا اطيعوا روساءكم واذعنوا لهم فانهم يسهرون لاجل نفوسكم كمن يعطي الحجة عنها (عبر ١٣ : ١٧) اترى هذه الفزعة من هذا الوعيد والتهديد صغيرة وحقيرة · كلا ثم كلا· لا يسوغ هذا المقال · وما قلت فيه كفاية لاقناع القساة الجفاة الشديدي الفظاظة بانه ما استولت عليَّ محبة المجد فهربتُ منه بل خشيتُ على نفسي فقط ولما نظرت فخامة هذا الامر فررت منه هذا الفرار

المقالة الرابعة

مضمونها ان ليس للساعين لهذه الخدمة المقدسة حظ فيها — وان المصطبرين على الاغتصاب يعاقبون عقاباً شديداً — في ان المشرطنين لغير المستحقين يعاقبون عقاباً متساوياً ولو كانوا يجهلون امور الذين شرطنوهم — في ان الكاهن به حاجة لان يكون قوياً في الخطاب والمحاورة — في انه يجب ان يكون متأهباً لمجادلة الكل من الصابئة واليهود والهراتقة — في انه يجب ان يكون بارعاً في علم الجدال اكثر من غيره — في ان المغبوط بولص قد اتقن هذا الامر اتقاناً بليغاً — في انه اظهر براعته في الخطاب اكثر مما باجتراح الايات — في انه يروم منا اتقان هذا العلم — في انه متى لم يكن الاسقف تجملاً بهذا العلم بلازم الضرورة يخسر من اتباعه خسراناً مبيناً ·

فلما سمع باسيليوس هذه الاقوال ضبط نفسه يسيراً ثم اجاب قائلاً انك لو كنت بدأْت بطلب هذه الرئاسة لكان لفزعك هذا وجه ومساغ لان الذي اعترف بانه يصلح وفيه نهضة لتدبير هذا الامر و يجدّ في اخذه ليس له فسحة ان يلجأَ الى عدم التجربة فيما يهفو به بعد ذلك · لانه هو نفسه سبق فاعدم نفسه هذا الاحتجاج بسعيه ليختطف هذه الخدمة · ومن تولاها وقدم اليها طائعاً مختاراً فليس له سبيل ان يقول بعد ذلك اني بغير اختياري اخطأْت و بغير اختياري اسات الى فلان لان

القاضي سيقول له اذا كان ضميرك عارفًا بانك قليل الحنكة وعديم التجربة الى هذا المقدار وانك متى تقلدت هذه الصناعة يجب ان تتصرف فيها من غير خطية ولا هفوة فكيف سعيت وتجاسرت ان تدخل وتتقلد اموراً تفوق مقدرتك وتزيد نهضتك ومن الذي الجأَك الى هذه الحال ومن قادك اليها واجبرك عليها وانت تفر هاربًا · لكن انت بعيد من هذه الاشياء كلها اذ لم يكن فيك شيء مماثل لما قلناه لتلام عليه وقد ظهر عند الكل انك ما سعيت لهذه الكرامة لا كثيرًا ولا قليلاً وخالفت بهذا كثيرين قد سعوا لها كل السعي · والسبب الذي لا يفسح لهم بالصفح عن هفواتهم هو نفسه يمنحك سببًا للاعتذار

فحركت راسي لما سمعت منه هذه الاقوال وابتسمت تبسماً يسيرًا واجبته عنها متعجبًا من سذاجته وبساطته وقلت له يا من هو اكثر الناس صلاحًا لقد كان بودي ان تكون هذه الامور على ما ذكرت لا لاقبل هذا الامر الذي هربت منه لانه لو لم يكن موضوعًا امامي كل صنف من العذاب لكنت اهتم برعية المسيح كيفما اتفق وانا خالٍ من الخبرة · الا انه يبين لي ان هذه الامور نفسها الموتمن عليها من الله هي اصعب من كل عقوبة لما فيها من اظهار عدم الامانة والخيانة · ولهذا كنت اتمنى ان لا يسقط مجدك

لكيلا يسهل للاشقياء الاردياء (لانني هكذا ادعو الذين لم يحترموا هذه الخدمة الشريفة ولو قالوا لي الف مرة ان الضرورة قادتهم الى ذلك وان خطيتهم خطية قوم جاهلين) الخلاص من تلك النار التي لا تطفا والظلمة القصوى والدود الذي لا ينام ولا يموت وحتى لا ينشقوا ولا يهلكوا مع المرائين · لكن لا استصوب معك هذا الراي لان هذه الامور ليست هكذا وان شئت فانا اوضح لك مصداق قولي · وحقيقة هذه الامور عند الله ان الكهنوت اجل واكرم من الملك فان شاوول بن قيس ما سعى حتى صار ملكاً وانما مضى طالباً للأتن والحمير وتقدم الى النبي سائلاً له عنها فاما النبي فلم يكلمه الا بامر الملك وعلى هذه الصفة ما سعى له مع انه سمع ما سمعه من رجل نبي بل تململ وانقبض واعتفى قائلاً من انا ومن هو بيت ابي (مل ٩) فما تقول انت بعد ذلك لما استعمل الكرامة التي منحه الله اياها استعمالاً ردياً وهل كان له في هذه الالفاظ التي ابداها قوة تنقذه من سخط من ملّكه ؟ على انه قد كان ممكناً له ان يقول لصموئيل لما شكى منه بعد ذلك اترى اخذت المملكة عنوة وهل سعيت لها باقتداري فما كان لي رغبة بشيء الا ان احيا حياة هادية وانما انت دفعتني الى هذه الرتبة فلو كنت بقيت خاملاً لهان علي التخلص من هذه المصادمات

لانني لو بقيت كواحد من الكثيرين الغير شهيرين لمـا كنت أُرسلت الى هذا العمل ولا كان الله تعالى عوَّل عليَّ في حرب العمالقة ولو لم احارب هذا الحرب لما كنت هفوت هذه الهفوة · لكن هذه الاقوال كلها ضعيفة فى الاعتذار وليست ضعيفة فقط بل خطرة وتشعل رجز الله بالاكثر · فاذ كان من أُكرم بكرامة فوق استحقاقه لا يسوغ له ان يتعلل بعظمة الكرامة ولا ان يعتذر بها عما جناه من الاثام بل الاجدر به ان يستعمل انعام الله عليه فيما هو افضل له واجمل · فاما هذا الملك فانه اذ حظي برتبة سنية ظن ان هذا الامر يفسح له في ان يخطي و يعمل الشر و يفهم من هذا ان محبة الله للانام كانت السبب له في ارتكابه ما ارتكبه من الاثام

و بهذا جرت عادة الكفرة الذين يقضون حياتهم بتكاسل وتغافل و يقولون هكذا · لكن لا يليق بنا ان تكون هذه الحال حالنا ولا يحسن بنـا ان نسقط في هذا الجنون الذي سقطوا فيه بل الاجدر بنـا الجد والتشمير وان نبدي ونحضر جميع ما نقدر عليه حسب طاقتنا وان تكون نيتنا خالصة واللسان منا لا ينطق الا بالثناء والحمد الواجب لله

وهات بنا ننكب عن التمثيل بالمملكة ونخرج منه الى

الكلام في الكهنوت الذى هو موضع خطابنا فان عـالي الكاهن ما سعى حتى يحصل على هذه الرياسة لكن لما هفا ماذا نفعه كونه لم يطلبها · ومالي اقول لم يطلبها بل لو كان يشاء ان يهرب منها لما كان هذا ممكناً له وذلك للضرورة القاضية عليه من الناموس لانه كان من سبط لاوي فكان يجب عليه قبول هذه الرئاسة بحق الوراثة عن اجداده وابائه ولم يكن قادراً ان يدعها لسواه غير انه مع ذلك عاقبه الله بقصاص عظيم عما جناه اولاده (امل:٤)

وماذا نقول في اول كاهن لليهود الذي من اجله خاطب الله لموسى مراراً فلما لم يقدر ان ينهض بمفرده في توقيف الشعب كله كان عن قليل اشرف على الهلاك لولا شفاعة اخيه ووساطته الذي حلّل غضب الله ولاشاه · واذ كنا في خطابنا قد ذكرنا موسى فالاجود بنا ان نوضح مصداق القول مما عرض له لان موسى ذاته ابتعد من هذه الرياسة على اليهود بهذا المقدار حتى انه لما أُعطيها اعتفى منها الى حد انه رفضها واباها مع ان الله ذاته كان الآمر له بها حتى انه حده عليه واسخط آمره · وليس في ذلك الحين فقط بل من بعد ذلك ايضاً لما قد رقي الى هذه الرياسة فـاحبّ ان يموت موتاً مستلذاً لاجل

خلاصه منها لانه قال ان كنتَ عتيداً ان تصنع معي هكذا فاقتلني (عد ١١ : ١٥) · ثم بعد ذلك لما اخطى عند الماء ماء المقاومة اترى هل استطاع ان يقيم الحجة عن خطيئة في عمله وقدر باعتفائه المتكاثر على اقناع الله بان يغفر له ويمنع غضبه عنه ? ولاسيما سبب حرم ارض الميعاد حسب ما نعلم كانا الا لاجل هذه الخطية التي من اجلها هذه الرجل العجيب ما نال الذي ناله اتباعه وحرم منه بل انه بعد السنين المتكاثرة والشقاوات المتوفرة و بعد تلك المصارعات والمكافحات التي لا توصف و بعد تلك القتلات والغلبات قضى نحبه ومضى الى ربه خارجاً عن ارض الميعاد التي من اجلها تعب ونصب واحتمل كوارث وفوادح اللجج وما تمتع بسلام وهدو المواني·

أرأيت كيف ما بقي وجه للاعتذار يجدي المخطيين فيما يخطئون اي المختطفين لهذا الامر والقادمين اليه بسعي وجد غيرهم لانه اذا كان هولاء المتشرطنون من الله اعتفوا مراراً كثيرة وأُعطوا طائلة هذا المقدار مقدرها وما استطاع شيء من الاشياء انقاذهم منها لا هرون ولا عالي الكاهن ولا ذلك المرء المغبوط القديس والنبي موسى العجيب الوديع المخاطب ربه كما يخاطب الصديق صديقه · فاي اعتذار نعتذر به نحن وقد قصرنا عن

فضيلة هذا النبي العظيم بمقدار زائد مع معرفتنا بذواتنا اننا ماسعينا
في سبيل هذه الخدمة ولا سيما ان كثيراً من هذه الشرطونيات
لا تصير بفعل النعمة الالهية لكن بسعي واجتهاد البشر فان يوداس
اصطفاه الله واحصاه في ذلك المصف المقدس وفوَّض اليه رتبة
الرسالة اسوة بالباقين بل زاده وميزّه عن الجماعة بقهرمة المال
فاستعمل هذه المنح جميعها استعمالاً مخالفاً واسلم من اوتمن
ان يبشر به . وما تقلده تقليداً جيداً بذرقه جميعه بذرقة
ردية . افتراه نجا من العقاب ? لا بل جعل شجبه لذاته او بل
وذلك على غاية الواجب والاستحقاق لانه غير لائق ان يستعمل
الانسان الكرامات المعطاة له من الله فيما يعاند به الله ذاته
ولا يسوغ له ان يستعملها في مضادته ومقاومته بل الاولى به ان
يتصرَّف فيها تصرفاً يرضيه . فاما هذا اذ بولغ في كرامته سهل
عليه لاجل هذا الامر ان يفلت مما يجب ان يعاقب عليه عندما
سقط باياس . فانه اعتمد اعتماداً مشا كلاً لما اورده كما لو ان احد
اليهود الكفرة عندما يسمع المسيح قائلاً لو لم اتِ واخاطبهم لما
كانت لهم خطية ولو لم اجترح فيهم الايات التي لم يجترحها
اخر لما كان سدك بهم اثم (يو ١٥ : ٢٢) يشكو من
هذه الاقوال و يلوم عليها المخلص والمحسن قائلاً ولمَ اتيتَ

وخاطبتنا ولماذا اصنعت هذه الايات

لكن هذه الاقاويل تنسب الى الملم وتحسب من الوسواس فان الطبيب ما قدم ليحكم عليك بالموت بل جاء ليشفيك من سقمك وما وفد حتي يتغافل عنك في حال مرضك بل ورد لينقذك من وصبك وانت باختيارك اعدمت نفسك منافع يديه فاقبل الان هذا العقاب قبولاً اردى واصعب لانك لو كنت رضخت لعلاجه لقد كنت تخلصت من امراضك القديمة واسقامك العتيقة فاذ رأيته قادماً وانتزحت منه هارباً فمالك امل بان تتعافى من امراضك . وعند عجزك عن الشفا ستقاسي عذاباً وندماً شديداً اذ جعلت سعي الطبيب باطلاً . فمن اجل هذا لا يكون عقابنا قبل كرامة الله لنا وبعد اكرامه بالسواء بل يكون العقاب بعد نيل المواهب من الله ارمض وآلم لان من ناله خير ولم يصر صالحاً فمن اوجب الاشياء واعدلها ان يعاقب عقاباً مراً . اذ كان هذا الاعتذار حسب ما قد اتضح لا يخلص من لجأ اليه بل يسلمه الى الهلاك على اكثر الامر

قال باسيليوس واي اعتذار يكون هذا الاعتذار اذ كنت لا استطيع الان ان املك نفسي وقد افزعتني بهذه الاقاويل فقلت له لا تنزعج ولا تفزع فاتضرع اليك واطلب

منك ان لا ترخي نفسك وتلقيها الى هذا الحد · لان لنا في ضعفنا صيانة وحراسة اذ يجب علينا نحن الضعفاء الا نستلقي ولا نسقط وانتم الاقويا ليس لكم ان تعلقوا امال خلاصكم بشي البتة بعد نعمة الله ولا تفعلوا شيئاً غير اهل لهذه الكرامة ولا لله معطيها · لان الذين نالوا هذه الرياسة بسعي منهم واستعملوها استعمالاً ردياً اما لفشلهم اولخبثهم او لقلة تجربتهم فانهم يستاهلون العقاب العظيم · وليس غفران ولا صفح لمن سعى لهذا الامر لان هؤلاء عدموا كل اعتذار اذ كان بحسب ظني ولو استدعانا الى هذه الرياسة ربوات من الناس والزمونا واكرهونا عليها فلا ينبغي ان ننظر اليهم بل الاجدر اولاً ان تسبر وتمتحن نفسك وتختبر سائر امورك خبرة محكمة وبعد ذلك ترضخ لمغتصبيك ومكرهيك فانا ارى احداً ممن لم يمارس صناعة البنيان يتجاسر على عمارة منزل ولا من لم يحكم صناعة الاطباء يتقدم الى مداواة المرضى ولو اضطره الى ذلك الناس فانه يعتفي ولا يخجل بالاقرار بجهله وتقصيره · والمؤتمن على الاهتمام بنفوس كثيرين من الناس اما يجب عليه امتحان واختبار ذاته الا انه مع هذا ولو كان اقل الناس تجربة واعدمهم حنكة يقتبل هذه الخدمة الشريفة خدمة الكهنوت معولاً فيها على الاحتجاج

بان فلان امرني او فلان اكرهني او حتى لا اضاد لفلان ولا اخالف امره و يزج لذلك انفسه مع غيره في شر عظيم · لانه قد كان يمكنه خلاص نفسه ولكن عوض ذلك سعى لهلاكه وزج غيره معه · فياليت شعري من اي وجه له امل بالخلاص ومن اي جهة يرجوان يحظى بصفح وغفران ومن يعفينا في ذاك الوقت ويحامي عنا ؟ عسى مكرهونا الان يقومون حينئذ بالمحاماة والدفاع عنا ومن ينجيهم في ذلك الوقت والحين وهم ذواتهم محتاجون الى اخرين كي يخلصوا من النار الابدية ؟

وما خطابي الان معك بهذه الاقوال لاذعرك وافزعك لكني اصف لك الامر على ما هو حقيقة · ولمصداق قولي اسمع القديس بولس مخاطباً لتلميذه تيموثاوس الذي هو خصيصه وولده الحبيب وكاتبه قائلاً له هكذا لا تضع يديك باسراع واستسهال على احدٍ ولا تشارك في خطايا اجنبية وغريبة (اتي ٥ : ٢٢) أرأيت من اسيء لائمة بل من اي عذاب خلّصنا الذين كانوا عتيدين ان يسوقونا الى هذا الامر · وكما انه لا يكفي في اعتذار المختارين قولهم اننا ما اقدمنا على هذا الامر من تلقاء ذواتنا ولو سبق في وهمنا ما يؤول اليه امرنا لكننا هربنا منه هكذا لا ينفع الذين شرطنوهم قولهم اننا ما عرفنا

المتشرطن بل ان هذا الامر نفسه يكون اعظم ذنب في
تقديمهم من جهلوه ولم يعرفوه· وهذا الاعتذار يزيد في مثلبتهم
وشجبهم وكيف لا يكون هذا اشنع وافظع لاننا متى همّمنا
بابتياع مملوك نريه للاطباء ونطلب من بائعه ضمانة ونبحث
ونسال الجيران عن خصاله وبعد ذلك لا نثق في امره كل الثقة
بل نطلب زماناً طويلاً نمتحنه فيه ونجرّبه · وفي هذه الخدمة
الشريف قدرها متى وقع اختيارنا على انسان نقبله حالاً كيفما اتفق
او متى عن لفلان ان يسدي اليه احساناً او متى شهد له قوم
تعصباً له او بغضة لاخرين فنقنع بذلك ولا نسال عما سواه· فمن
الذي ينقذنا في ذلك الوقت اذ كان من يجب عليه ان يتشفع
محتاجاً الى شفاعة غيره · فاذاً يجب على من عوَّل على
شرطنة انسان ان يسال عن جميع احواله السوال الشافي ·
والاولى بالمتشرطن ان يفحص عن شؤون نفسه الفحص الكافي
لانه وان كان منتدبوه ومختاروه شركاء له في عقوبته فيما يخطي
فلا يخلص هو من العقاب بسبب ذلك بل يقوم بطائلة اعظم
متى كان المختارون له قد اعتمدوا في انتدابه على امر اظهر لهم
انتدابه واجباً ولم يكن السبب بشرياً·

ومتى ظهر لهم وعلموا بالمندوب انه غير مستحق وقدموه

محتجين ببعض الحجج فعقاب المندوب ومنتدبه سواء بل ربما يكون عقاب الذي يقدّم من لا يصلح لهذه الرئاسة اعظم لان الذي يمنح السلطة لمن يريد فساد البيعة والجماعة يكون هو نفسه السبب فيما يتجاسر هذا عليه · فان لم يقع تحت جناح هذه الاشياء ويلجأ الى انه انخدع من الناس فلا يفوته بعد هذا العقاب · وانما يعطى طائلة دون طائلة المندوب · وان سألتني لماذا اجبتك انه يمكن ان يكون المختارون اقدموا على اختياره منخدعين من سمعة او ظن كاذب فاما المندوب فلا يسوغ له ان يقول انني جهلت نفسي وليس لي بها معرفة كما يقول غيره · وبما انه عتيد ان يعاقب عقاباً اثقل من مختاريه اما يجب عليه ان يمتحن ذاته نعم الامتحان وان جذبوه جاهلين امره فالامثل به ان يتقدم اليهم ويكشف لهم اسبابه وعلله فيزيل بذلك انخداعهم ويرى ذاته انه غير مستحق لاختيارهم ويظهر لهم عجزه وقصوره عن القيام بذلك وينجو من امور عظيمة خطيرة بهذا المقدار · لانه اذا كان الكلام في باب التجند والغزو والفلاحة والتجارة وبقية احوال العالم ووقع الانتخاب والاختيار في ذلك فلا يتداخل الاكار في صناعة الفلاحة ولا يلامس النوتي صناعة الجندية ولو تهددهم المتهددون بربوات من الميتات لم يفعلوا ذلك لوضوح الامر وخطره

وهو ان كل واحد ممن عددناهم يخاف على نفسه العطب لملابسته ما لا خبرة له فيه · ثم في موضع هذه الغرامة في الامور الصغار نستعمل من التنقير والتحرير هذا الحد ولا نرضخ لاضطرار مضطرينا · وحيث يكون عقاب من لم يحسن احكام صناعة الكهنوت مخلداً نلقي نفوسنا في هذا الخطر جزافاً وكيفما سنح معوّلين في الاحتجاج على ان غيرنا قسرنا وغصبنا · الا ان القاضي في ذلك الوقت لا يقبل منا هذا الاعتذار ويرفض هذا الاحتجاج ولقد كان الاحرى بنا ان نحترس في الامور الروحانية ابلغ من احتراسنا في الامور الدنيوية ومع هذا لا نبذل في الروحانيات من الصيانة والعناية مثل ما نبذله في العالميات

قل لي لو ظننا ببعض الناس انه عمار فاستدعيناه لبناء بيت وكان قليل الخبرة بهذا غير انه اطاع امرنا وتبعه واخذ في عمارة البيت ولم يجيد تشييده بل افسد عمله حتى انه مع فراغ بناء البيت كاد يسقط · اترى كان يكفي هذا الصانع في الاعتذار قوله انه ما تولى العمل الا باكراه واضطرار وانه ما جاء الى العمل من تلقاء نفسه · كلا لا يقبل هذا العذر · لانه قد كان الاحرى به ان يبتعد من العمل ولو استدعاه الوف من الناس · فمن الغريب ان لا يفسح لمفسد الحجارة والخشب ان يتبرا من

تبعة افساده ويترك سدى مهلك النفوس وبانيها بغير احتفال ويظن ان اكراه الغير له ينقذه من الطائلة· وكيف لا يكون هذا هذا الامر جهلاً وسفاهة · على اني اصرف النظر عن تحقيق القول بانه لا يمكن لاحد اضطرار الانسان على ما لا يريده · ولنفرض انه احتمل الاف اغتصاب واصطبر على تحيلات متفننات حتى يقع في هذا الامر فهل ينقذه من العقاب ؟ فانا اطلب منكم ان لا نعتقد هذا الاعتقاد وارغب اليكم ان لا نخادع نفوسنا الى هذا الحد و باننا نجهل اموراً هي للصبية على غاية الظهور · اذ كان في اعطاء المسؤولية والجناحات لا يمكن ان ينفعنا شيئاً التصنع بالجهل ولا يفيدنا شيئاً هذا الاعتذار · وهبك انك ما سعيت في طلب هذه الرئاسة لمعرفتك بفشلك وعجزك عن القيام بخدمتها · وما احسن ما فعلت الا انه قد كان الاجدر بك ان تهرب منها بهذه النية والاعتقاد ولو استدعاك اليها الوف من الناس لانه لما لم يكن احد يستدعيك اليها كان اعتقادك انك ضعيف المنة لا تصلح لهذا الامر فلما وجدت اناساً يمنحونك هذه الكرامة صرت بغتة قوياً وظهرت على غفلة مضطلعاً · الا ان هذا الامر يجب ان يضحك منه لانه هذيان ولم واهل للعقوبة · ولهذا السبب يعظنا الرب قائلاً ان لا نطرح

اساساً متى شئنا بناية برج قبل ان نعتبر قوتنا ونمتحنها لكيلا نفسح للمجتازين بنا ان يهزؤوا فينا (لو ٤ : ٢٨) . لكن الخسران في هذا البنيان الذي نحن بصدده فغايته النار التي لا تطفا والدود الذي لا يموت وصرير الاسنان والظلمة القصوى وتمزيق الامعاء والاحصاء مع المرايين

الا ان ثلابنا ما احبوا ان ينظروا في شيء من هذا فلو نظروا فيه لكانوا كفوا عن ملام من لا يحب ان يهلك نفسه باطلاً اذ ليست قهرمتنا وسياستنا تتعلق بمستغل بر وشعير ولا بغنم و بقر ولا اهتمامنا بشيء يشابه هذه لكن اهتمامنا بالموضوع لدينا وهو جسم يسوع المسيح لان بيعة المسيح على راي بولص الطوباوي وحسب تعليمه هي جسد المسيح ويلزم المؤتمن عليها السعي في ان يبقى هذا الجسد معافى صحيحاً حسناً جميلاً . ويجب ان يرصد سائر الجهات حتى لا يدرك هذا الجسم درن ولا وسخ ولا شي يشا كل هذا في الوحاشة فيشين هذا الحسن ويفسده اذا لم يزينه ويجب ان يظهره مستحقاً حسب المكنة البشرية لهذه الهامة السعيدة الازلية الموضوعة على هذا الجسم لانه ان كان المجتهدون في الجهاد لتظهر حالتهم احسن حالاً يحتاجون الى الاطباء والى الراحة والى اصلاح غذاء خاص والرياضة المتواصلة في سائر شؤونهم .

واشياء كثيرة يجب عليهم ان يراعوها حتى ان ادنى شيء منها متى اهمل يتلف كل شيء ويهبط بصاحبه . ومن صار في حظهم خدمة هذا الجسد الشريف الذي الجهاد فيه ليس مع اجسام بل مع القوى الغير المنظورة فكيف يمكنهم حفظه معافى صحيحاً متى لم تكن فضيلتهم قد علت على الفضيلة البشرية كثيراً ولم يكونوا خبيرين باصلاح كل اخلاق واميال النفس . او تجهل ان هذا الجسم موضوع لامراض واغتيالات كثيرة باكثر من جسدنا وان فرائصه واعضاءه تتألم سريعاً وتتعافى بطيئاً . وان الذين يشفون هذه الاجساد يجدون انواعاً مختلفة من الادوية لشفائها والات كثيرة لعلاجها واغذية ملائمة لامراضها ومرات كثيرة قد كفت طبيعة الهواء واغنت وحدها عن كل دواء فجلبت للمريض العافية . وفي بعض الاوقات يعرض للسقيم نوم فيخلصه من مرضه ويعفي الطبيب من معالجته فاما هذا الجسم فلا يمكن ان يتناول شيئاً مما ذكر اذ لا يوجد الا حيلة واحدة لشفائه وهي التعليم بالقول والعمل . هذه هي الالة النافعة الوحيدة والغذاء المفيد الفريد والهواء الطيب المعتدل وهو عوض كل دواء ملائم وعوض النار والحديد متى احتيج الى بط او قطع او كي . فان ضعفت هذه المعونة ولم تكن تفيد شيئاً فما سواها يمضي هدراً ولا يجدي نفعاً . وقوة

التعليم تنهض النفس اذا سقطت وتُلطّفها اذا ورمت وتُعدّل فيها ما زاد وتكمّل مــا نقص ونعتمد جميع الاعتمادات المؤدّية الى صلاحها وسلامتها لان السيرة الجميلة الفاضلة تحث الناظر على ان يغايرها ويماثلها

ومتى مرضت النفس مرض الاعتقادات النغلة الدعية فنحتاج حينئذ الى قوة الكلام والاقوال ليس تصوناً وحراسة لنفوسنا فقط بل لتشديد عزائمنا في الحروب البرانية لانه وان تقلد الانسان سيف الروح وتدرع بالايمان الى حد اجتراح العجائب وبوساطة العجائب يفحم الوجِهين ويسد افواههم ففي ذاك الوقت لا تكون طبيعة الاقوال غير نافعة فقط بل ضرورية جداً لان المغبوط بولص مع ان عجائبه كان يعجب منها في كل مكان قد كانت له يد في الخطاب والجدال· واخر من مصفه وزمرته يبعثنا على هذه القوة فيعظنا قائلاً كونوا متأهبين لكل من التمس منكم قولاً عن الرجاء والامل الذي فيكم (ابط ٣ : ١٥) والرسل في القديم ما فوّضوا سياسة الارامل الى استيفانوس ومن كان معه الا ليتوفروا على الخدمة بالكلام وربما كنا لا نحتاج الى ذلك كثيراً لو كان فينا قوة على افتعال العجائب واذ كان ما بقي لتلك القوة اثر فينا وقد طرقتنا حروب كثيرة متلاحمة من

سائر الجهـات فبلازم الضرورة يجب ان نتدجج بهذا السلاح لكيلا نُرشق بنبل اعدائنا بل يجب ان نرشقهم بسهامنا . فيجب علينا اذاً ان نعمل الجد والتشمير الذي ما بعده مزيد ليستقر فينا قول المسيح وينطبق فينا

واستعدادنا وتاهبنا لا ينبغي ان يكون بصنف واحد من المحاربة لان هذا القتال ذو اصناف كثيرة متلونة ومع حشد ملتئم من اعداءٍ متباينين وليست اسلحتهم واحدة ولا حربهم ايانا بفن واحد ولا بنوع واحد . فيجب اذاً على من هو عتيد ان يحاربهم ان يكون عارفاً بخدعهم وحيلهم كلها ويجب عليه ان يكون رامياً بالقوس ورامياً بالمقلاع وان يدبر الطعام ويحسن الكمين ويقود الجيوش ويسد مسد الراجل ويقوم مقام الفارس ويحارب في البحر وفي الاسوار . والحروب العسكرية كل واحد يتولى عملاً من هذه الاعمال وبما يتولاه يدفع اعداءه لكن ليس الامر في حروبنا هذه على هذه الصفة وانما من عوَّل فيها على الظفر والغلبة متى لم يُحكم سائر فنون هذا العلم فالشيطان لخبرته بها كلها يقاتله ويحاربه بالفن الذي لم يحكمه ويجب عليه ان يحصن نفسه من كل جهة لانه متى اتفق ان يهمل ثغرة واحدة يدخل منها الشيطـان بلصوصه ويختطف الاغنام سراً

لكن لا يمكنه ذلك متى شعر ان الراعي قد احكم سائر اجزاء هذه الصنعة واتقنها كلها وعرف جميع حيله واغتيالاته معرفة بليغة ولذلك ينبغي لنا ان نسلح نفوسنا من كل جهة · لان المدينة ما دامت محصنة من جميع جهاتها فانها تضحك على محاصريها لثقتها بقوتها وحصانتها فان ثغر العدو في سورها ثغرة صغيرة فلا تنتفع بعد ذلك شيئاً بالباقي مع ان جميع السور الباقي يكون قائماً ثابتاً حصيناً · هكذا تجري الحال في مدينة الله متى شملتها حصافة راعيها واشتملت عليها من كل الجهات وصارت لها بمقام صور حصين لجميع حيل واغتيالات الاعداء تؤول الى خزيهم والاستهزاء بهم ويثبت سكانها داخلها سالمين غير مضرورين ومتى قدر العدو ان يهدم من حصانتها جزءا صغيراً فبهذا الجزء يمكنه افساد الكل · واقول اذا سلّمنا ان الراعي ظهر غالباً وهو يجاهد حسناً للحنفاء الا ان اليهود يسلبونه ويغنمون من رعيته ولو فرضنا ايضاً انه قهر البدعتين المذكورتين غير ان حزباً اخر يختطفه ولعله قهر هولاء ايضاً لكن يثب عليه القائلون بالحتم المقضي فيقتلونه داخلاً مع غنمه

ومالي اعدد سائر بدع ابليس التي ان لم يكن الراعي بصيراً بدحضها كلها دحضاً قوياً جيداً فيمكن الذئب ان يأكل اكثر

الغنم بوصوله اليها بثغرة واحدة · وفي شان الحرب على الدائم نتوقع الغلبة او الهزيمة من الشجعان الثابتين فقط فاما في هذه الحرب فالامر يجري بضد ذلك على اكثر الامر لانه مرارًا كثيرة تكون المحاربة مع قوم لم يحاربوا اصلاً ولا تعبوا في شيء بل من كان جالساً ساكناً صار غالباً والذي اشتمل سيفه اذ لم يكن له حنكة ولا خبرة بالقتال اهلك نفسه وصار للاصدقاء والاعداء ضحكة وهزءًا · وانا اروم ايضاح ما اقوله لك واورد مثلاً على ذلك الناموس المعطى من الله لموسى فان الذين فسدت عقولهم براي يوالنتينوس ومركيونوس وكل من مرض مرضهم يجرحون هذا الناموس ويسقطونه من عدد الكتب فاما اليهود فيكرمونه الى حدٍ هذا مقداره الى هذا الزمان فانه يعيقهم وهم مقيدون به (وهو لا يسعدهم) فيرون حفظ جميع ما فيه لازماً لهم وواجباً عليهم ولا يظنون انه مخالف لامر الله · فاما حزب الله وبيعته لما نكبت عن اسراف الفرقتين المذكورتين سلكت طريقاً وسطى فما رضخت لنير هذا الناموس ولا نبذته ولا عابته لكنها على حال عطلتهِ تمدحه وتقرّظه لانه قد نفع بعض الاوقات · فالخليق والاحرى بمن كان عازماً على محاربة الفيئتين ان يعدل ويحسن هذا الاقتصاد لانه ان اخذ في تقريف اليهودي

بان تشبثه بالعتيقة ملائم لهذا الوقت فقط واخذ في ثلبها من غير اشفاق فقد اباح للمريدين من الاراتقة تزييفها حجة ليست صغيرة وان سعى ان يفحمهم افحاماً مفرطاً ويمدح الناموس بانه اهل ان يعجب منه وان الضرورة داعية الى التمسك به في حاضر وقتنا فقد فتح افواه اليهود بذلك

وايضاً الذين قد جنّوا جنون صبليوس وكلبوا كلب آريوس فلافراطهما حادوا عن الامر المستقيم ولم يحظوا من المسيحيين الا بالاسم فقط · ولو بحث الانسان عن اعتقادهما بحثاً مستقصى لوجد فريق صبليوس لا فرق بينه وبين اليهود في شيء من الاعتقاد بل في الاسماء فقط · ويجد حزب آريوس شبيهاً بحزب بولص الصميصاتي · ولقد حاد الحزبان كلاهما عن الحق وبايناه مباينة كثيرة فما اكثر الخطر في هذا الامر والعطب وما اضيق الطريق واحرجها اذ كانت من جهتيها تشرف على جرف ويخشى خشية ليست صغيرة ان يكون الانسان متى شاء ان يرشق احدهما فيجرحه الاخر · لانه متى قال القائل بلاهوت واحد فصبليوس في الحال يجتذب هذه النغمة ويضمها الى تعديه للناموس · وان فصل فقال ان الاب ممتاز عن الابن والروح القدس ممتاز عنهما ففي الحال يقف فيه اريوس ويجذب هذا

الفصل في الوجوه و يجعله تغييراً في الجوهر فالاخلق والاحسن بنا ان نهرب من بليــة صبليوس ذات الكفر ومن بدعة آريوس الجنونية معترفين بلاهوت واحد لاب وابن وروح قدس مضيفين الى ذلك ثلثة اقانيم لاننا هكذا يمكننا ان نبعدهم عنا ونسد طرقهم اجمعين ويمكنني ان اورد لك ملاحمات اخرى متى لم يقاومها المقاوم بشجاعة وحذقٍ فانه ينهزم وقد اصابته منها من الجراحات ربوات

وماذا يعدّده الانسان من هذيانات اخصائه وذويه اذ كانت هذه تسبب لكل انسان اتعاباً غزيرة ليست دون مصادمات البرانيين بل اكثر كثيراً لان فريقاً من اصحابنا من كثرة فضولهم يريدون استقصاء الامور جزافاً و يسالون عن جميع الامور التي لا يقدرون على علمها والتي ان علموها لا يربحوا ولا يستفيدوا خيراً منها· وفريق اخر يطالبنا بعلل واسباب احكام الله ويلزمونا ان نفحص ونقيس هذه اللجة العظيمة (لان النبي يقول ان احكامك للجة عظيمة) وما تجد من يسال عما يتعلق بالايمان ولا من يحرص على تثقيف سيرته· وان اصبت اناساً منهم فانك تجدهم قليلين بل تجد اكثرهم طالبين ما ليس الى وجدانه سبيل او التي متى بحث عنها آلت الى اسخاط الله لانه لايشا

ان نعلمها ومتى اكببنا على طلب معرفتها فلن نصل اليها وانى ان يكون ذلك والله لا يشا ان نحصل من الطلب على العطب · وهولاء على ما وصفنا متى اراد المريد افحامهم واسكاتهم عن فحص ذلك بوجاهة وتسلط فكم من الابهة وعدم العلم وقلة المعرفة يسدكون به وينسبون اليه فالخليق به ان يستعمل سداداً كثيراً حتى يفلت من ملامهم وينقلهم عن هذه السوالات الفظيعة وهجر هذا الكلام وان يصل الى شيء من هذا الا بقوة الكلام المعطاة له من الله ومتى عُدم الكاهن هذه القوة فنفوس تباعه لا فرق يكون بينهما وبين السفن الغريقة بافراط الامطار وشدة الانواء واعني بقولي هذا من هم اشد ضعفاً واكثر فضولاً وبحثاً فلذلك من اليق الاشياء بالكاهن ان يتقن صنعة الكلام والجدال·

قال باسيليوس ان بولص ما اتقن هذه الفضيلة وما اختزى من ركاكة الكلام وفقره فيه بل اعترف جهراً انه امي عامي وبهذا كاتب اهل قرنثيه المستعجب من علمهم والمتبجحين بصناعة الكلام تبجحاً زائداً (١ كو ١١ : ٦)

فاجبته ان هذا الامر قد اهلك كثيرين وجعلهم اوفر فشلاً في العلم الحقيقي لانهم لما لم يستطيعوا استقصاء قعر الآراء الرسولية ولا قدروا ان يفهموا معنى هذه الالفاظ

قضوا عمرهم كله ناعسين متثاوبين وراضين بهذا الجهل لان بولص لم يكن عادماً للعلم بل كان بعيداً عن الجهل بعداً لا يساويه ولا يماثله فيه انسان من الساكنين تحت السماء ·

لكن يجب ان يؤخر كلامنا في هذا المعنى الى الوقت الملائم وفي وقتنا هذا فلنفرض ان بولص على ما يشآ هولاء كان عامياً وجاهلاً في هذا المعنى فماذا ينتفع رجال زماننا من ذلك لانه كان قد امتلك قوة العمل التي تفوق قوة الكلام كثيراً وقوة العمل فيها كفاية لان تتقن اشياء كثيرة · وهذا السعيد كان يظهر دائماً ولو كان صامتاً وساكتاً رهيباً مفزعاً للابالسة · فاما الناس الموجودون الان لو اجتمعوا قاطبة وابدوا من الصلوات اكثرها واذرفوا من الدموع اغزرها لا يقدرون ان يفعلوا ما فعلته منطقته لانه لما كان يصلي كان يقيم الاموات ويجترح غير ذلك من الايات حتى ان الذين من خارج محلتنا اعتقدوا فيه انه اله · ومن قبل انتقاله عالمنا استحق الارتقاء الى السماء الثالثة وسمع من الاقاويل ما لا تستطيع سماعه الطبيعة البشرية · فاما اهل زماننا هذا (ولا اشا ان اقول قولاً مستصعباً باهظاً ولا اتفوه بما اتفوه به مستشيطاً عليهم بل متعجباً منهم) كيف لا يخجلون ان يقيسوا نفوسهم برجل هذا المقدار مقداره · لاننا اذا نكبنا

عن ذكر آياته ومعجزاته ورمنا الخوض في عيشته الملائكية وسيرته وتصرفه فانك تجد هذا البطل مجاهداً في سبيل المسيح فاتكاً ظافراً لامعاً بسيرته باكثر من لمعانه باياته ومعجزاته. وماذا يعدّد الانسان منها وبماذا ينعته اترى غيرته الوافرة ومعاطبه المتاكثرة واهتماماته المترادفة واغتماماته المتصلة من اجل البيع ومشاركته للمرضى في امراضهم العديدة واحزانه المتكاثرة واضطهاداته المتجددة وميتاته في كل يوم فاي صقع من المسكونة واي بر واي بحر لم يعرف ولم يشهد جهادات هذا البار الصديق بل ان الارض غير المسكونة قد قبلته مراراً في الاخطار واصطبر على كل صنف من اصناف الاغتيالات وبكل فن من الفنون ظفر وقهر كان مجاهداً ومتوجاً وفي كل وقت من الاوقات

لكنني لااعلم كيف استجزت انتقاص فضل هذا الرجل بكلامي هذا القاصر فيه لان مناقبه وفضائله تعلو وتفوق كل قول ولا سيما قولي بل هي تفوقه بمقدار ما ان العارفين بالكلام النوابغ يفوقون العوام. لكن اذ كان الامر على ما شرحت فلا انتقل عن سياق الكلام الا ان اشرح شيئاً فائقاً على جميع ما اوردته بمقدار ما فاق ذلك على الناس اجمعين لان هذا السعيد لا يحكم على ما آل اليه القول من القصور مع حسن النية

والقصد · وان سالتني ما هذا اجبتك انه من بعد هذه المناقب المتكاثرة ومن بعد هذه التاجات المتوافره تمنى المضي الى جهنم وان يسلم الى العقاب الدهري لاجل خلاص الذين رجموه دفعات كثيرة وراموا قتله بما انهم يهود من جنسه فآثر خلاصهم وشاء انضمامهم الى السيد المسيح · فمن احب المسيح هكذا اذا صح ان يسمى هذا حباً لانه ارفع واشرف عملاً من الحب ؟ اترى بعد هذا نقايس نفوسنا به بعدما نال من العلى موهبة ونعمة هذا المقدار مقدارها ومن بعدما ابدى من نفسه فضيلة هذا المحل محلها وماذا يكون من الادعاء والتجاسر اردى من هذا ؟

ومع ما ذكرته فانا أُحاول ان أُظهر وابرهن انه ما كان عامياً حسبما ظن هولاء لان اليونان يسمون امياً لا من لم يتقن صنعة الكلام البراني فقط بل من لم يحارب ولم يدافع عن الحق · ونعم ما ظنوا لان بولص ما زعم انه امي في هذين المعنيين بل في احدهما فقط ولما احترس هذا الاحتراس جعل في خطابه فصلاً اذ قال انه امي بالكلام فقط لا بالمعرفة (٢ كو ١١ : ٦) وانا لو كنت طالباً لكمال سقراط ولعظم طبقة ديمستانيس ولفصاحة ثوكيديوس واسمو طبقة افلاطن لقد كان يجب ان يورد الى الوسط هذه الشهادة من بولص · وانما الان انكب عن

جميع ما ذكرت واصرف النظر عن الجمال البراني الكثير الفضول اذ لا يهمني تانق الكلام وفصاحته. واذا فرضنا ان الرسول كان ضعيفاً فقيراً بالالفاظ وغير بارع برصف الاسما والافعال وبسيطاً سادجاً فالذي اريده انما هو الا يُحسب امياً في الامرين اعني في تحسين الكلام وفي تحرير الرأي ببيان الاعتقاد حتى لا يكون من حيث يريد يستر عيوبه وفشله ينتزع من هذا السعيد اعظم الخيرات ويسلب منه اسمى مديح واحسن تقريظ لائق به

قل لي كيف بدَّد اليهود الذين كانوا سكان دمشق حينما لم يكن بعد بدا باجتراح الآيات وكيف قهر وصرع الحنفاء ولمَ أُرسل الى طرسوس اليس لانه كان قد قهرهم بالكلام والى هذا الحد هزمهم حتى انهم راموا ان يقتلوه ولم يصطبروا على الانهزام منه وفي ذلك الوقت ما كان استفتح بافتعال المعجزات. ولا يمكن لاحد ان يقول انه من مجد الآيات التي اجترحها عجب منها كثيرون وقُهروا له. لانه بقوة الكلام فقط استولى عليهم. وكيف باحث اليهود المتنصرين الذين كانوا بانطاكية وردهم عن عنادهم والاروباجيس الذي كان من تلك البلدة التي غالت في مذاهب عبادة الشياطين كيف تبعه مع حرمته اليس من حسن خطابته ؟ وكيف اوتيخس سقط من الطاقة

ليلاً اليس من اشتغاله بسماع كلامه واقوال تعاليمه الى ان عبر نصف الليل ؟ وماذا كان منه في ثصالونيكية وقورنثيس وافسس وفي رومية نفسها اما كان يقضي الايام كلها بنهارها وليلها شارحاً الكتب ؟ وماذا يقول الانسان في جداله مع الرواقيين وشيعة ابيقورس ؟ فلو اخذنا في تعداد جميع محاوراته ومخاطباته ومجادلاته لاسهبنا في كلامنا اسهاباً زائداً . فاذا كان قد ظهر في وسط الجماعة قبل اجتراحاته المعجزات وفي اثناء ذلك كان يستعمل الكلام في الجدال فكيف اذاً يسوغ لهولاء ان يتجاسروا ان يدعوه امياً والخلق اجمع قد عجبوا من فصاحة خطابته وبلاغته وبراعته ؟ ولمَ ظن فيه اهل ليقونيا انه عطارد لانه كما ان اعتقادهم في برنابا انه المشتري قد كان سببه مما ابدى من المعجزات والايات وهكذا ظنهم في بولس انه عطارد ما كان الا من جزيل اقتداره على الكلام . ولمَ زاد هذا السعيد فضلاً عن باقي الحواريين وبمَ كان له هذا الفضل ومن اين ذاع خبره وشاع اسمه في سائر المعمورة وتداولته السن الكل ليس عندنا وحدنا فقط بل عند اليهود والحنفاء اكثر من جميع الناس؟ وان سالت لمَ ذلك اجبتك من جلالة قدر رسائله التي نفع بها ليس المومنين فقط في ذلك الحين بل للمتسلسلين منهم الى يومنا هذا والمتناسلين بعدهم

الى ظهور السيد المسيح وما يكف فاعلاً هكذا ما دام الناس
لان رسائله بمنزلة سور قد بني بحجر الماس فهي تحوط حفظاً
بجميع بيع المسكونة · وقد قام الان بالوسط شجاعاً بطلاً
باسلاً سابياً كل عقل الى اطاعة المسيح وهادماً للافكار وهادماً
كل تشامخ متعال ضد معرفة الله (٢كو ١٠: ٥) وهذه الاشياء
جميعها فيصفها بوساطة الرسائل التي خلَّفها عندنا هذه الرسائل
العجيبة البديعة المملوة من حكمته الالهية وهي لا تنفعنا في دحض
الآراء الكاذبة فقط بل تزيدنا حراسة وتدفع عنا ضررها وتنفعنا
منفعة ليست يسيرة في صلاح السيرة وجودة الحياة · ومقدموا
البيع باستعمالهم اياها جعلوا هذه البتول النقية عروساً للمسيح
وزادوا في جمالها الروحاني وثقَّفوا وهذَّبوا الرعية بهذه الرسائل
ونبذوا وطرحوا بعيداً الامراض الطارئة على البيع وحفظوها على
ما كانت عليه من الصحة · فمثل هذه الادوية خلف لنا هذا الامي
وذوو الحنكة البليغة المداومون على قرآءتها يزكنون مقدار قوتها
وانه قد توفر توفراً كثيراً في هذا النحو وجد فيه · وهذا يتضح
لك مما يقوله فاسمع ما يرسل به الى تلميذه تيموتاوس فانه يكاتبه
قائلاً اصغ الى القراءة والعزاء والتعليم (١تيمو ٤: ١٣) ويضيف
الى هذا القول الثمرة المستثمرة منه قائلاً لانك متى اعتمدت هذا

الاعتماد تخلّص ذاتك وسامعيك ويقول ايضاً لا يليق بعبد الرب المماحكة والمحاربة بل يحسن به الرفق والوداعة وان يكون مفيداً وللحقد عادماً (٢:٢٤) وبعد يسير يقول واما انت فاثبت فيما تعلمت وقم على ما اوتمنت عليه عالماً ممن تعلمت وانك منذ طفوليتك قد تعلمت العلوم الطاهرة لان فيها قوة لان تحكمك للخلاص (٢ تيمو ٣:١١) وايضاً يقول ان كل كتاب الاهي نافع في التعليم والتفنيد والتثقيف والادب الذي بالعدل لكيما يكون رجل الله سالماً صحيحاً (تيمو ٢ : ١٦) واسمعه ايضاً كيف يخاطب تلميذه تيطس في ترتيب الاساقفة واي شيء يضيف الى ذلك لانه يقول يليق بالاسقف ان يكون منعكفاً على كلام التعليم الكلام الخالص الامين لكيما يكون قادراً على على توبيخ مضاديه (تي ١ : ٩) فعلى ما يزعم هولاء كيف يمكن لانسان امي يفحم ويوبخ مناقضي قوله بلا حاجة الى الاصغاء الى القرآة والكتب ان كان يجوز ان يستحب الجهل الا ان هذه كلها احتجاجات وتشكل بالكسل والفشل

وان قلت انه يامر بهذا روساء الكهنة فقط لان كلامه هناك في روساء الكهنة ولا يلزم به من هو دونهم · فاسمع ما يعظ به غيرهم في رسالة اخرى اذ كتب ليسكن قول الله فيكم غزيراً

بكل حكمة (١ تس ٥ : ١١) واذ يتكلم في معنى الكهنة فيقول ان القسان المتقدمين ليؤهلوا لاكرام مضاعف لا سيما التعبون منهم في القول والتعليم (١ تيمو ٥ : ١٧)

وحد التعليم التام الذي لا يعوزه شيء هو ان يقود المعلمون باعمالهم لتلاميذهم الى العيشة السعيدة التي رسمها السيد المسيح لان العمل بمفرده لا يكفي في التعليم · وليس هذا القول قولي بل قول المخلص نفسه لانه يقول ان كل من يعمل ثم يعلّم يدعى عظيماً (مت ٥ : ١٦) فلو كان العمل تعليماً لكانت اضافة الثاني زيادة لا تجدي نفعاً وكان يكفيه ان يقول كل من يعمل فقط واذا فصل بين الاثنين فالواحد متعلق بالاعمال والاخر منوط بالاقوال وكل واحد محتاج الى رفيقه في تشييده وعمارته · او ما تسمع ما يقوله اناء المسيح المصطفى لقسوس افسس اذ يقول لذلك اسهروا متذكرين اني ثلاثة سنين ما فترت ليلاً ولا نهاراً عن عظة كل واحد منكم بدموع و بكاء كثير (اع ٢٠ · ٣١) واية حاجة الى الدموع مع العظة بالكلام وقد اشرقت فيه متلالئة العيشة الرسولية · واظهار هذه الغيرة بالعمل ينفعنا منفعة كبرى على اتمام وصايا الله لاني لا اقول ان العمل بمفرده يتقن جميع الاشياء لانه متى قام الجدال والجهاد بالاعتقادات والاديان واضطرمت نار الحرب بين الكل

بالكتب فاية قوة تظهر من السيرة واية فائدة تنتجه من الاعراق الكثيرة متى زل الواحد بعد مكابدته هذه الاعراق وسقط او صار الى بدعة من البدع لقلة تجربته وانشق منفصلاً من جسم الكنيسة. (ولقد عرفت كثيرين اصابهم هذا المصاب) فاية جدوى عادت عليه من طول اصطباره ؟ ما اجدت ولا نفعت شيئاً كما انه لا جدوى تنتجه من الايمان المستقيم متى فسدت السيرة فلذلك يلزم من تقلّد تعليم الغير ان يكون بصيراً بهذه الجهادات لانه وان كان وقف مصوناً محروساً غير مضرور من مناقضي قوله وانما الجماعة التي تحت يده الساذجة البسيطة متى ما رات رئيسها مقهوراً لا يقدر ان يناقض مناقضيه بشيء فلا ينسبون الانهزام والانقهار الى ضعفه بل يعودون بذلك الى ركاكة معتقده وينحدر الجم الغفير الى الهلاك الكثير لاجل قلة تجربة المتقدم وان لم ينفصلوا عنه جملة ويصيروا من حزب مضاديه فانهم بحكم الاضطرار يشكّون فيما كانوا يعتقدون به ولا يتقدمون اليه بامانة خالصة غير مشوبة وهم ركينون مطمانون دائماً بل تتداخل نفوسهم زوابع وزعازع من انهزام وانقهار المعلم تؤول بهم الى عطب ردي وينزل براسه الشقي الهلاك والنيران عن كل واحد من الهالكين بسببه. واما انت فلا تحتاج الى ان

تتعلم هذا مني اذ كنت عالمًا بجميع هذه الاشياء علمًا محكمًا · فمن لا يريد ان يصير سببًا لهلاك خلق كثير ولا يسبب لنفسه عقابًا اشد من العقاب المذخور له افينسب عمله الى الابهة والعجرفة ويظن انه فعل هذا عن محبة المجد الفارغ · ومن الذي يقول هذا القول ؟ لا اظن احدًا يتفوه به اللهم ان يكون لائمًا جزافًا بغير حق ولا صواب ويؤثر التفلسف في مصائب غيره

المقالة الخامسة

مضمونها في ان المحاورات التي تقال في الملا مفتقرة الى تعب كثير وجد شديد — في ان المرتب لذلك يليق به ان يزدري بالمدائح — يجب ان يكون قديرًا على الخطاب — في انه متى لم يمتلك هاتين المنقبتين لا تنتفع به الجماعة — في انه يحسن به جدًا اطراح الحقد — في ان العارف باقسام الكلام والخطاب به حاجة الى الحرص الزائد باكثر من الجاهل العديم العلم — في انه لا ينبغي ان يتهاون بحكم الجمهور ولا يتعلق به كثيرًا — في ان مؤلف الاقوال يجب ان يكون نظره الى ما عاد لمرضاة الله تعالى — في انه ان لم يزدرِ بالمدائح يكابد اهوالاً كثيرة

لقد اوضحنا ايضاحاً كافياً كم يحتاج المعلم في مجاهدته عن الحق من الحنكة والتجربة ولي مع جملة ما ذكرت ان اورد شيئاً لابين ربوات معاطب غير التي شرحتها والاولى بي ان اقول ان هذا ليس هو السبب بل السبب ممن استعمله استعمالاً عن غير علم او بئس الاستعمال · بل الامر نفسه يصير لنا مفيداً للخلاص ولكثير من الخيرات متى كان مستعملوه الخادمون فيه رجالاً فضلاء صلحاء · وان سالتني ما هذا اجبتك انه التعب الوافر الذي لا يغني عنه شيء في المقولات والمجاهدات الصائرة في الملا واول ذلك ان اكثر المرؤوسين التابعين له لا يشاؤون ان تكون حالهم مع المعلمين حال المتعلمين بل يتعدون اطوارهم ويتعالون عن رتبة التلاميذ فيطفرون الى حال المناظرين المراقبين كالجالسين في المجاهدات البرانية وكما ان هناك ينقسم الجمهور فبعضه يصير من حزب واخر من حزب ثاني هكذا تجري الحال هنا اذ تفترق الجماعة الى فرقتين احداهما مع هذا والاخرى مع ذاك ويسمعون المقولات مراعين للواحد وماقتين الاخر

وليس هذا المستهجن المستصعب بل يوجد شيء اخر ليس دونه قباحة لانه متى سنح لانسان ان يدخل في اقواله شيئاً مما

استعمله غيره فانه يلحقه من المعاير والتقريعات بسببه اكثر مما يلحق سارق الاموال والحطام · ومراراً كثيرة لا يكون على الحقيقة ادخل في كلامه شيئاً لغيره وانما على الظن وحده يحل به ما يحل باللصوص · ومالي اقول متى مزج قوله بشي مما تعب فيه غيره بل لافسحة له باستعمال ما ابتكره وابتدعه هو ذاته اذ كانت عادة الاكثرين قد جرت في سماع ما يقال لا لافادة تحصل لهم منه بل للاستلذاذ والطرب به وكانهم جلوس نقدة مستمعين او ملتهين وهكذا براعة الكلام التي ذكرناها صارت مشوقة محبوبة مطلوبة منا ومضاهية لما عند المتفلسفين متى اضطروا ان يجاهد بعضهم بعضاً

فالحاجة اذاً في هذا الشان ماسة الى نفس شجاعة ومنة قوية تفوق صغرنا وحقارتنا لكي يقمع بها لذة الشعب التي لا تلتزم حداً ولا نظاماً ولا تجدي نفعاً وان ينقلهم الى ما هو اكثر منفعة واوفر فائدة ليكون الشعب تابعاً وراضخاً له ولا ان يكون منساقاً ومنقاداً لما يرغبون · ولا سبيل الى بلوغ ذلك اليه الا بهذين الامرين وهو اطراحه للمديح وقوة منته في الجدال والخطاب · ومتى عدم احدهما فالاخر يكون غير نافع بغير رفيقه لانه متى ازدرى بالمديح ولم يورد تعليماً بالملح والنعمة متبلاً

فالاكثرون يزدرون به ولا تفيده نزاهة نفسه شيئاً · وان اتقن امر التعليم واحكمه جيداً واتفق ان ينقهر من زهزهة المجد فالخسران يلصق به وبجماعته اذ لم يكن يقصد بما يورده منفعة السامعين وانما يقصد ان يتكلم بما يستلذون به ليفوز منهم بالمديح · وكما ان من لا ينفعل للمديح ولم يتقن صنعة الكلام لا يخضع لما يرغب الجمهور ولا يمكنه ان ينفع المنفعة الواجبة اذ لم يكن قادراً ان يتكلم بشيء مفيد هكذا اسير حب المديح لا يمكنه ان يجعل الاكثرين فضلاء لانه يبدي ما يستلذونه ويستفزهم الطرب لسماعه لا ما ينفعهم ويكون قد ابتاع بما قاله جلبات استحسان ومديح فالاليق بالرئيس ان يكون قديراً على الامرين لكيلا ينقص فضل احدهما بنقص الاخر لانه متى قام في الوسط ونطق بتلك الاقوال الممضة للكسالى الفشلين وسقط فيها فالضرورة تدعوه ان يخجل من قلة بضاعته وعوزه وفي الحال يتلاشى ربح ما كان يرجو من المقولات لان الموبّخين اذا مضتهم هذه الاقوال وليس لهم سبيل للانتقام منه بصفة اخرى يظهرون عليه بذلك ويعيرونه بعدم العلم وقلة المعرفة ظانين انهم يسترون بذلك مخازيهم وعيوبهم فلذلك يليق به ان يكون ماسكاً الاعنة جيداً ويجب ان يجري محمولاً على هذين الامرين لكي يمكنه تناولهما واستعمالهما على ما

يجب · لانه متى لم يكن فيه شيء من العيوب فيقدر على عقاب الذين تحت يده والصفح عنهم ويتسلط عليهم كيفما شاء ومتى لم يكن متعالياً مترفعاً عن العيوب فلا يقدر على ذلك

فاما كبر نفسه فلا يليق به ان ينتهي فيه الى حد ازدرائه بالمديح فقط بل ينبغي له ان يزيد على ذلك ويفوق فيه حتى لا يكون عمله النافع غير كامل · ومع ذلك يلزمه ان يزدري باشياء اخر وهي الحقد والحسد والمثالب التي في غير محلها لانه بلازم الضرورة يلتزم المتصدر المتقدم احتمال مثالب غير واجبة والاصطبار على ملامات في غير موضعها ولا ينبغي ان يخشى من ذلك خشية زائدة · ومع هذا لا ينبغي ان يهمل ذلك على الاطلاق بل من اجمل الاشياء به ان يبادر الى سرعة اطفاء المثالب والملامات ولو كانت افكاً ومحالاً ولو كان قائلوها من صغار الناس ورعاعهم لانه ليس شيء يزيد في انتشار الخبر الصالح وغير الصالح مثل الجماعة العامة الخارجة عن النظام اذ من شانها سماع ما تسمعه والتحدث به من غير تحقيق ولا اعتبار بل تشيع وتذيع كلما تسمعه على علاته من غير ان تقف على حقيقته · ولذلك لا يسوغ اطراح شان العامة وما يتحدثون به بل يجب المبادرة الى حسم ظنونهم الردية وازالة تهمهم واقناع الشكاة منهم ولو كانوا اخس الناس

وان لا يدع شيئاً مما يستطاع ليدفع عنه الظنون الردية . فان كان بذل الجهد في ذلك ولم يرضخوا لشيء من كلامه فحينئذٍ يجب اطراحهم وان لا يعبأ بهم

ومتى خضع الانسان لهذه العوارض لا يمكنه في وقت من الاوقات مطلقاً ان يورد شيئاً حسناً ولا ان ياتي بعظيم لان الكآبة والاشغال المترادفة والاهتمامات المتصلة فيها كفاية ان تكسف نفسه وتحط من قوتها وتضعفها غاية الضعف وهكذا يجب ان يكون الكاهن وهكذا يجب ان يتصرف مع اتباعه وتكون حاله حال الوالد مع اولاده الصغار والاطفال فاننا لا نجد على اولئك متى شتمونا وضربونا ولا متى بكوا او فرحوا ولا نحفل بشيء مما يعتمدونه ولا نعتقده شيئاً يوبه له البتة هكذا يجب ان تكون حالنا مع اتباعنا فلا نعبا بمديحهم ولا نكترث بتقريعهم متى جرى هذان الامران في غير موضعهما وفي غير وقتهما

على ان هذا الامر الذي قلته لك ايها السعيد اصعب صعب بل ربما كان غير ممكن وهو الا يفرح الانسان اذا مُدح . ولا اعلم ان كان احد من الناس اتقن هذه المنقبة . ومن يسره المديح فلا يمكن ان لا يشتهيه واذا كان يشتهيه فبلازم الضرورة يحزن ويكتئب عليه اذا خاب منه . فكما ان المغرمين بحب المال اذا

عدموه افرطوا في الحزن لفقده هكذا المعتادون على تانق العيش وترفه يثقل عليهم غاية الثقل فقد ذلك وزواله هكذا يصيب عشاق المدائح فانهم يكتئبون ويحزنون لا متى هُجوا او سبُّوا فقط بل متى تناقصت عنهم التقريظات والمدائح فان نفوسهم تتلف وتخبت كأنها وقعت في شغب ومجاعة ولا سيما ان كانوا ممن اضحوا باعمالهم ممدوحين ومقرَّظين او سمعوا عن قوم اخرين انهم يُمدحون فكم من الهموم والغموم والاوجاع تحل بالذي يتصدر في جهاد التعليم ويرغب في هذا الامر لانه كما ان البحر غير ممكن ان يكون بلا امواج هكذا نفس محب المديح لا يمكن ان تخلو من الاحزان والهموم

ومتى كان له قدرة على الخطاب وقد يمكن ذلك فلا يعفى مع هذا من الاتعاب المتصلة اذ كان الخطاب بالكلام ليس من شان الغريزة والطباع بل يتولد عن كثرة القراءة وبها ينمو ويتقوى فلو بلغ الانسان الى ذروته يعود صفرًا متى لم يواصل ولم يلازم الارتياض الشديد عليه والحرص الزائد المتتابع فيه وبهذا ينشط وتنتعش قوته على الكلام وترسخ ملكته في نفسه حتى يقال ان تعب الذي بالغ في درس الفلسفة وبرع فيها اعظم وازيد من تعب المبتدي المتعلم لان خسران البالغين متى

اهملوا القراءَة والمراجعة وخسران المبتدئين ليس بالسواء بل خسران العلماء اعظم بمقدار ما اقتنى كل من الفريقين· والمبتدئون القليلون العلم لا يشكى منهم مهما قالوا وكلما يبدونه يكون مستحسناً واما الفضلاء فاذا لم يوردوا من الاقوال ما يزيد عن الظن بهم واعتقاد الجماعة فيهم فما اكثر ذنوبهم والتشنيعات عليهم· وان لم يكن ما يبدونه في غاية الحسن ونهاية البراعة فلا يعدمون المديح على ذلك فقط بل ينالون اللوم من كثيرين لان السامعين يجلسون منتقدين ليس فيما يقال فقط بل في رتبة القائلين والاعتقاد فيهم · فمن هنا متى برع انسان وفاق كثيرين بالعلم والخطابة يجب عليه ان يكب على التعب وينعكف على الجد والاجتهاد لان الذي يناله بسعيه لا يشمل الطبيعة البشرية كلها التي لا تصل الى كل شيء· ومتى لم تكن اقواله كلها موافقة ومطابقة لعظم الظن فيه فما اكثر الذم والملام والهجو الذي يلحقه من كثيرين حيث انه لا ينبسط للانسان منهم عذر في شيء البتة ولا يفكرون في انه ربما عرض له كآبة او خوف وعلى اكثر الامر قد سنح له غيظ فاظلمت منه القوة الفكرية النيرة وما امكنها ان تورد ما توردهُ رائقاً صافياً شائقاً · وبالجملة انه بشر لا يمكنه الثبات على حال واحدة ولا يتفق له

ان يجيد في كلما يصنعه بل يتفق له في بعض الاوقات ان يهفو ويسقط عن طبقته وشهرته في الخطابة ولا يخطر في بالهم شيء مما ذكرته بل يلومونه وينسبون له العيوب والعلل كانهم يحاكمون ملاكاً لا بشراً· ثم من شان الانسان الازدراء بمناقب وفضائل ابن جنسه ولو كانت كثيرة وجليلة وان بدا منه منقصة ولو يسيرة ولو كانت واحدة فحالاً يشعر بها ويتتبعها سريعاً ويذكرها دائماً وهذا اليسير يتعالى به وينقص من مجد فضائله الكثيرة

اشاهدت ايها الشجاع ان القدير على الكلام يحتاج الى جد شديد ومع جده وحرصه يفتقر ايضاً الى اطراح الحقد الى حد لا يلتزم به احد من الناس ·وقد شرحت لك الحد في ذلك سالفاً لان كثيرين يظهرون عليه شاكين منه شكاياتٍ باطلة لا يكون لهم مساغ فيها الاّ ان لم يكونوا يستثقلون نجاحه وفلاحه عند الكل · ويليق به احتمال حسدهم الكريه المرّ لان هذه البغضة اللعينة التي يحتشدونها جزافاً عندما لا يقدرون على اخفائها وكتمانها تجعلهم ان يشتموه ويلوموه ويتجنون عليه سراً ويتخابثون عليه ظاهراً· والنفس التي تبتدي ان تتجع من كل ما ذكرنا لا تلبث ان تفسد بالحزن والكآبة · ولا يكفيهم مواجهته بالمكاره بل يخوضون في ايصال ذلك اليه مراراً كثيرة

بغير مواجهة فيغرضون عنه بذكر من يحسن الخطابة واحكام الكلام فيفخّمون شانه و يعظّمون مكانه ويقرظونه زائداً عما يستحق و بعض هولاء يعتمدون ذلك كيداً وحنقاً و بعضهم يفعلونه عن غباوة وحسد ليحطوه من منزلة العالم و قدره ليظهروا ان الموصوف منهم اهل ليعجب منه٠

ومجاهدة هذا الشجاع ليست مع هولاء فقط على اكثر الامر بل مراراً كثيرة يحتاج ان يجاهد و يقاوم قلة خبرة وجهل العامة لانه غير ممكن ان يكون كل القادمين اليه اماثل فضلاء بل ان اكثر المجتمعين عوام ورعاع والباقي الذي فيه سداد ونبل وفيه مكنة لان ينتقد الكلام قليل جداً ٠ ولعله يجد الواحد والثاني ممن قد اقتنى هذه الفضيلة والنتيجة ان المزهزهين والمادحين للبارع في الخطابة قليلون ٠ بل ربما خطب وخرج من الوسط ولم يمدح بشيء فيحسن به الاستعداد والتاهب لملاقاة هذه الكوارث وان يسامح من فعل منهم ما فعله عن جهل وغباوة و يغتفر له ذنبه ٠ واما من كان قد اعتمده حسداً وكيداً فيجمل به ان يبكي عليه مثل شقي لقي معتقداً في هذا الامر أن ليس قوته دونهم ٠ ولو فرضنا ان بعض المزوقين الفضلآء الذي فاق الكل بصناعته بعد ان يصور الصورة

ويحكمها غاية الاحكام راى هذه الصورة من ليس له خبرة بصناعة التزويق ولم يستحسنها فلا يليق به ان يلتفت الى من حكم حكماً فاسداً على هذا التمثال والصورة ولا يعبا بـه · ولو فرضنا ايضاً ان بعض الناس استحسن تمثالاً غير مستحسن فعجب به لميله اليه واندهاله منه واعتقد فيه انه مستعجب فلا ينبغي ان ينقاد ويساق الى فساد حكمه لان الصانع الفاضل يجب ان يكون حاكماً على مصنوعاته وببراعته يبدع اعماله قبيحة او مستحسنة والعقل المبدع يحكم عليها بكلا الحكمين حيث انه لا يخطر بباله اعتقاد الناظر الى الصورة ممن ليس من اصحاب الصناعة ولا يعبا بحكمه لان حكمه في هذا لا يصدق ولا يصح · فاذاً لا ينبغي ان يلتفت الموءتمن على التعليم الى ثنا واطراء البرانيين ولا ان يرخي نفسه وينزلها من كلامهم هذه المنزلة · بل يجب عليه ان ينظم اقاويله ويجعل قصده بها رضى الله فقط وتكون مرضاة الله وحدها قانوناً له في هذه الصناعة الفاضلة ولا يكون باله الى الزهزات والمديح · فان مدحه الانام فلا ينبذ مدائحهم ومتى لم يمدحوه فلا يتطلب ذلك منهم ولا يحزن لانه يكفيه سلوة لاتعابه تفوق جميع الاشياء متى علم من ضميره ان ما رصفه من تعليمه عائد لمرضاة الله · لانه ان اقتنص

بلذة الاقوال وشهوتها فلن تجديه اتعابه نفعاً ولا ينتفع بقوة الخطابة · لان النفس الغير قادرة على احتمال الملامات من عامة الناس ترتخي وتلقي وتطرح الحرص في الخطاب ·

ولذلك يليق به ان يؤدب ذاته ويروضها بالاستهانة بالمديح اكثر من كل الاشيآء لانه لا يكفي قوله انه يعرف ان يصون هذه القوة في نفسه وان لم يطرح المديح · فان شاء مريد ان يبحث بحثاً شافياً يجد من هو على هذه الحال محتاجاً الى هذه الفضيلة وهي الازدراء بالمديح ليس باقل من حاجة البالغ البارع اليها · وان الضرورة تلجيه ان يزل في اشياء كثيرة مقهوراً من ظن الكثيرين لانه لما عجز عن مساواة الناجحين بفضيلة الخطابة يغتالهم ويقبّح اعمالهم في اشياء كثيرة تشاكل الاغتيال بل يجسر على كل شيء ولو بلغ ان يبذل نفسه من اجل اسقاطهم وانحطاطهم الى حال تمسكنه· ومع ذلك يبتعد عن التعب لان التعب اذا استثمر منه صاحبه مدائح اقل مما يامل منه يلقيه في نوم عميق بايسر ممن لا يستطيع اطراح المديح · لان الاكار متى كان عمله في كورة رقيقة وارض ذات جرف تلجئه الضرورة ان يفلح الصخور وان لم تكن رغبته قوية في هذا الامر يقلع حالاً عن

التعب · لانه ان كان القادرون على الخطاب بقوة كثيرة بهم حاجة الى الرياضة ليحرسوا و يصونوا هذا الامر فيهم ولا يضيعوه فمن لم يكن جمع شيئاً و يلزمه الدرس في زمان المجاهدات فكم من المصاعب لا يتكبد وكم يناله من الاختباط وكم يصيبه من القاق حتي يمكنه جمع شي يسير ·

وان كان انسان من المرتبين معه منزلته دون منزلته له قدرة في هذا الفن وهو افضل منه فيه فينبغي ان تكون نفسه الالهية حتى لا يتداخلها الحسد ولا يستولي عليها الحزن بسببه لانه اذا زادت منقبة احد ممن هو ادنى منه وعلت مرتبته على من فوقه في الرتبة واحتمل هذا بشجاعة وقوة جاش فليس هذا لكل نفس ولا من عمل النفس البشرية بل هو عمل نفس الماسية · فان كان هذا الرئيس وديعاً مسكيناً في الغاية فيكون المصاب مما يحتمل على وجه لكن ان كان هجوماً متعجرفا محباً للمجد فيكون الموت عنده مما يتمنى و يشتهي كل يوم طالما ينغّص عليه حياته مرؤوسه و يمرمره ويحتقره ظاهراً و يستهين به سراً ويختطف منه سلطته واعتباره و يجتذبه اليه لايثاره ان تكون له جميع الاشياء · وليس يحرسه من هذه الاشياء الممضة الا الوجاهة والجرأة على الخطاب وميل الجمهور اليه ومحبة اتباعه له · اما عرفت مقدار الغرام وعشق الكلام

الذي قد استولى على نفوس النصارى الان ؟ فانهم يوفون العلماء من الكرامة ازيد توفية و يميزونهم عن غيرهم · وليس هذا اعتقاد الخارجين عن محلتنا فيهم بل اعتقاد الخاصة من اصحاب ديانتنا فكيف يصطبر الانسان على استخزاء هذا مقداره اذ يعلم انه متى نطق سكتت الجماعة واحتملت تطويله بانزعاج وانتظرت نهاية كلامه كانها راحة من الاتعاب · ومتى قال اخر واسهب سمعت كلامه ببشاشة واذا فرغ صعب عليها ذلك كثيراً بل عند تعويله على السكوت تجد وتغضب حتى يتكلم

وهذه الامور وان ظننتها حقيرة سهل التهاون بها ففيها كفاية ان تخمد النشاط والرغبة وترخي قوة النفس متى لم يكن الانسان رفع ذاته ونزهها عن الاعراض البشرية ولم يحاول ان تكون سيرته مشاكلة لتلك القوى المعراة من الاجسام التي علت عن الحسد وارتفعت عن حب المجد الفارغ وما صيدت بسقم مشابه لهذه الاسقام والاعراض · فان وجد انسان من الناس بهذه الصفة التي اصفها يقدر على اطراح ووطئ هذا الوحش الذي لا يانس وان كان اقتناصه غير مستسهل ولا حربه محتمل ينبغي ان يقطع رؤوسه الكثيرة بل لا يدعها ان ترتفع وتنجم ليمكنه ابعاد هذه المصادمات باسهل مرام ويرسو في ميناء هادٍ ومتى لم

يكن ناجياً مما ذكرت يجاب على نفسه حرباً كثيرة الانواع واختباطاً متصلاً وكآبة كثيرة من بقية الآلام ومالي وتعداد بقية المصاعب التي لا يمكن لاحد ان يتفوه بها ولا يصل الى علمها الا من مارس هذه الامور ووقع فيها

المقالة السادسة

في ان خطايا الشعوب تلحق بالكهنة وطائلتها عليهم — في ان الكهنة يحتاجون الى تنقير وتحرير اكثر من الرهبان — في ان الراهب يتمتع براحة اكثر من المتقدم في البيعة — في ان الكاهن قد اؤتمن على الاهتمام بجميع المسكونة وعلى امور اخر رهيبة — في انه يجب على الكاهن ان يكون لبقاً قادراً على القيام بكل اموره — في ان الانفراد ما هو دليل على الاصطبار مثل التقدم على الجماعة وتدبيرها — في ان نسك من كان منفرداً ومن كان متردداً في العالم ليس بالسواء — في ان الذين قد انفردوا بنفوسهم يتقنون الفضيلة باسهل من الذين يهتمون بالكثيرين — في انه لا يجب اطراح ظنون واقوال العامة ولو كانت كذباً — في انه ليس بعظيم ان يخلص الانسان نفسه — في ان العقاب عن آثام الكهنة اعظم من عقاب آثام العوام — في ايراد مثلات وانموذجات على ان حرب الشيطان اصعب من جميع الحروب — ان توقع الكهنوت سبب الخوف والرعبة والعذاب

والامور التي ههنا فصفتها هكذا على ما سمعت واما التي هناك فكيف نحتملها اذا الجئنا ان نقيم بجناح وتبعات ما يلتزم به كل ممن اوءتمنا عليه لان الغرامة في ذلك لا تقف عند الخزي والاستحياء اذ العقاب الدهري ينتظرنا ويشتملنا لان قول الرسول ارضخوا لروءساكم واطيعوهم اذ كانوا الساهرين من اجل نفوسكم كعتيدين ان يوءدّوا لله عن ذلك جواباً (عب ١٣ : ٧) وان كنت ذكرته وتكلمت عنه فيما سلف فلا اسكت عنه الان بل اتكلم بقوة لان هذا الوعيد والتهديد يقلق نفسي اقلاقاً متصلاً

لانه ان كان من يفتن احداً ولو صغيراً فالاجود له ان يعلق في رقبته حجر الرحى ويزج في اليم (مت ١٨ : ٦) وان كل من يجرح اعتقاد الاخوة ويفت في ضمائرهم فهفواته واصلة ولاحقة بالمسيح ذاته (١ كو ٨ : ١٢) فالذين ما اهلكوا واحداً ولا اثنين وثلثة فقط بل ربوات متكاثرة فماذا يصيبهم واي جواب يعطونه عن ذلك ؟ لانه لا مندوحة لهم ان يعتذروا بعدم التجربة والجهل او ان يحتجوا بالقسر والاكراه اذ ربما سهل لبعض المروءوسين ان يلجأَ الى هذه الحجج محتجاً عما جنى من الاثام بايسر مما يحتج بها مقدموا البيعة عما اثمت الرعية ٠

وان سألت لماذا اجبتك ان الكاهن وُضع لتثقيف جهل الاخرين وليسبق فينذر بالحرب الشيطاني الوارد وليس له فسحة ان يحتج بالجهل ولا يمكنه ان يقول ما سمعت صوت البوق والصور ولا شعرت بالحرب لانه لهذا الامر جلس وله وحده نُدب ونُصب على ما يقول حزقيال النبي وهو لكي يبوّق للاخرين ويسبق فينذرهم بالمصاعب الواردة ولذلك لا مناص لهمن العقاب ولو كان الهالك واحداً لانه متى راى الديدبان السيف قادماً ولا يبوّق للشعب ولا ينذرهم بذلك وبلغ السيف فاهلك نفساً واحدة اما النفس فتهلك بخطيتها باستحقاق لكني اطالب بها الديدبان (حز ٣٣)

فاكفف اذاً دافعاً اياي الى محاكمة على هذه الصفة لان كلامنا لا يتعلق بقيادة الجيوش ولا بالمملكة بل هو متعلق بامر يفتقر الى فضيلة ملئكية لانه ينبغي ان تكون نفس الكاهن صافية اكثر من الشعاعات الشمسية حتى لا يدعها الروح القدس صفراً من نعمته ويمكنها ان تقول دائماً مع الرسول انا حي ولست انا بل المسيح يحيا فيَّ (غلا ٢ : ٢٠) فان سكان البراري المتخلصون من جلبات المدن واختباطات الاسواق قد حظوا بسكون في ميناء هادىء ولا يثقون مع ذلك بظلف تلك السيرة وشدتها بل

يضيفون اليها ربوات من الاحتراسات غيرها محصنين ذواتهم من سائر الجهات وحريصين ان تكون اقوالهم وافعالهم محرَّرة بزيادة وقلوبهم هياكل مقدسة طاهرة لكي يمكنهم ان يمتثلوا لدى الله بدالة ووجاهة وظلافة بمقدار ما استطاعت القوى البشرية فكم تظن الكاهن يحتاج من القوة حتى يمكنه اختطاف قلبه من سائر الادناس و يحفظ جماله الروحاني مترفعاً وناجياً من الضرر فاني اظن انه يحتاج الى النقاوة والظلافة اكثر من سكان البراري ومن كان محتاجاً الى هذا كثيراً فهو تحت اخطار ان يتوسخ و يتدنس مالم يصن ذاته من ضررها بكثرة تيقظه وهو يزيد عنهم بكثرة تعرضه لضرورات واخطار كثيرة يمكن ان تدنّسه وتوسّخه ان لم يجعل نفسه غير مضادة باتصال تيقظه واستعماله القوة الكثيرة لكثرة ما يلم به من الضرورات والاخطار اذ كان في تحسين الوجوه وتثني ورشاقة الحركات والتصنع في لين الكلام والاصوات وافتنان الالحاظ واحمرار الخدود وصبغة الشعر وظفر الغدائر والظفائر وفاخر الملابس ونظارة النضار والذهب وبريق الاحجار وفاخر الطيوب وبقية الاشياء التي يتصنع بها النسوان فيها كفاية لان تشوّش النفس وتبلبلها ان لم تكن قد حرست وحفظت بصرامة العفة الزائدة

ولعمري ان البلبال مما ذكرنا ليس بمستعجب واما اقتدار ابليس الذي يرشق بسهامه نفوس الناس بما خالف ذلك فهذا يدعو الى غاية الحيرة والانذهال لانه وجد قوم نجوا من هذه المصائد لكنهم وقعوا بما خالفها لان الوجه الوسخ والبزة غير النقية والشكل غير المصنع والخلق الغشيم والنغمة غير المطربة والكلام الفاقد النظام والحياة الملازمة الفقر والتفرد كل هذا يجذب اولاً النظر والنظر يجذب الرحمة والترثي و بعد ذلك يدهور الى غاية الهلاك واكثر المنفلتين من هذه المقانص والشباك التي وصفناها البادية بالادهان والطيوب والاثواب وما شاكلها يسهل وقوعهم واقتناصهم وهلاكهم بما خالفها

فاذا كان بوساطة الغنى والفقر والحسن والجمال والسماجة والقباحة والفنون التي يتصنع بها النسوان وبالاشياء التي تختلف عنها قد وقع قوم فيها بسهولة وهلكوا و بمطلق القول ان جميع الاشياء التي عددناها تنشيء حرباً لنفس ناظرها وتحدق به تخيلاتها من كل جهة فكيف يمكن الكاهن ان يتنفس وقد احاطت به فخاخ هذه كثرتها واي ثقب يجد ايلج فيه ولا اقول حتى لا يقتنص ولا يصاد لان هذا امر في غاية الصعوبة بل لكي يحفظ نفسه غير مضطربة من الافكار الدنسة

واتجاوز عن الكرامات الصائرة من قبل النساء فانها تفسد العفة ودفعات كثيرة تهبط وتلقي الانسان متى لم يستيقظ لها ويرصد اغتيالاتها على الدائم · فاما الكرامات البادية من الرجال فان لم يقبلها بكبر النفس فانه يصاد بمرضين متضادين مرض الملق او المخادعة اللائقة بالعبيد ومرض الابهة والعجرفة لان الضرورة تدعوه الى كتمان هذه الكرامات عن خوله واتباعه ولاجل هذه الكرامات البادية منهم يتكبر على من دونه مندفعاً الى العجرفة · فاما مقدار الضرر المتوجه منها فلن يعرفه احد الا ان يختبره ويمارسه ممارسة جيدة · وليس هذه فقط بل يوجد اكثر منها بكثرة متوافرة وهي بلازم الضرورة تعرض للمترددين في وسط العالم · فاما من الف البرية واحبها فقد استراح من هذه الامور وان عرض في فكره في بعض الاوقات هاجس فظيع قبيح وصور له صورة مما ذكرنا فهذا الخيال يكون ضعيفاً ضئيلاً ويخمد سريعاً اذ لا يجد من خارج مادة للالتهاب في المنظر · والراهب المنفرد نخشيته على ذاته وان اضطرته ضرورة ان يهتم باخرين فهم قليلون جداً وان كانوا كثيرين فانهم على كل حال اقل من المجتمعين في الكنيسة والاهتمام بهم اخف من اولئك ليس لقلتهم فقط بل لانهم كلهم متعالون عن

الاهتمامات العالمية ولا يهمهم شيء من امور العالم · وهذا الامر هو الذي يجعلهم حسني الانقياد لروسائهم واذ كانت عيشتهم مشتركة فلا تخفى هفواتهم ويمكنه اصلاحها وتنقيتها بايسر مرام · ومما يزيد في فضائلهم حضور المعلم لديهم دائماً

فاما الذين تحت طاعة الكاهن فاكثر امورهم متعلقة باهتمامات دنيوية وهذا مما يرخيهم في عمل الروحانيات ولذلك الضرورة تدعو المعلم ان يبذر زرعه كل يوم في نفوسهم لكي بمداومة السماع يثبت التعليم عندهم · لان افراط الغنى وعظم الاقتدار والانتفاخ الصائر من الترفه وما شاكل هذا متى اتفقت واجتمعت خنقت البذور · بل على اكثر الامر متى تكاثف الشوك والقتاد لا يدع البذار يصل الى سطح الارض · وزيادة الحزن وضرورة الفاقة والازايا المتكاثفة والمترادفة والمشابهة لهــذه والمضادة للاولى تبعده عن السعي في الامور الالهية · فاما خطاياه وآثامه فغير ممكن ان يظهر له منها الا القليل واما الباقي الكثير فلا يخطر على باله منه شيء وحاله مع الشعب فيها من هذه الحيرة اكثر واشد · فاما ان فحص انسان عما يتعلق بالله فيجد هذه كلا شيء لان الكهنوت يحتاج الى جد اعظم واشد · لان من دعته الضرورة لان يشفع في بلدة جمعاء ولا اقول في بلدة بل يشفع ويضرع

الى الله تعالى بجميع المسكونة طالباً منه صفح اثام جميع الاحياء من الناس والاموات فانظر كيف يجب ان تكون صورته اذا كانت هذه منزلته٠ اما انا فاخال ان لا دالة موسى ولا وجاهة ايليا تقدر على هذه الطلبة لان المنتدب لهذه الخدمة قد اؤتمن على رعاية العالم جميعه وبما انه اب ووالد للخلائق اجمعين فانه يتقدم الى الله ضارعاً اليه في اطفاء جميع حروب العالم واستئصال الاختباطات منه ويخطب من كرمه السلام وسعادة كل واحد من الناس على انفراد وكلهم اجمعين طالباً لهم الخلاص والنجاة من جميع المضار والشرور واسبال رحمته على الكافة

فما اليق به ان يكون فائقاً في جميع انحائه على الكل بمقدار ما يفوق المتقدم على اتباعه حتى يجوز له ان يشفع فيهم ويجاب على ما يطلب لهم ٠ ولما نراه يستدعي الروح القدس ويتمم الضحية الرهيبة ويتقرب ويدنو الى سيد الكل فقل لي اين ترتبه وكم يكون عظيماً٠ اجبني كم من الطهارة والظلافة تطلب منه وكم من التقى تخطب منه ؟ اذكر لي كيف يجب ان تكون اليدان الخادمتان لهذه الضحية واخطر لي ببالك كيف يجب ان يكون اللسان الناطق بهذه الالفاظ وادر لي في خلدك لاي شيءٍ من الاشياء المقدسة لا يجب ان تكون مماثلة هذه النفس القابلة من العلا نعمة هذا المقدار

مقدارها وكم يقتضي ان تكون انقى واطهر وانظف لانه في ذلك الحين تكون الملائكة مطيفة بالكاهن وجميع الموضع الذي فيه تكمل هذه الضحية يمتلي من القوات السماوية اكراماً للذبيحة الموضوعة وهذا فيه كفاية للاقتناع من الامور المكتملة في ذلك الوقت نفسها · فقد سمعت بعض الناس قائلاً ان قسيساً عجيباً باعماله قد جرت عادته ان يرى اعلانات ومناظر حتى انه أُهّل لمنظر يشاكل ما قلناه وقال انه في ذلك الوقت على غفلة رأى ملائكة كثيرة بمقدار ما امكنه ان يمتد نظره لابسة حللاً بهية مطيفة بالمذبح · هذا ما رآه ذلك الكاهن ولما احنى راسه الى اسفل شاهد ملائكة قياماً حوله وقد احنوا له رؤوسهم كانه ملك وهم جنده وانا فاصدق هذه الحكاية واقنع بها · وقد شرح لي غير هذا ما أُهّل لنظره وسماعه هو نفسه ولم ياخذه ولا تسلمه عن غيره · وهو ان الناس المنصرفين من هنا من هذا العالم متى تناولوا الاسرار الرهيبة بضمير نقي عند اخر نسمتهم تزفهم الملائكة وتمضي بهم من هنا كرامة لذلك الذي تناولوه · وانت لا تقشعر ولا تجزع ان تدني من هذا السر الجليل نفساً هذه الصفة صفتها وترفع الى رتبة الكهنة انساناً لابساً ثياباً وسخة درنة قد اخرجه المسيح واقصاه من زمرة ندمائه

فان نفس الكاهن يجب ان تتلألأ مثل نور تستنير به
المسكونة كلها فاما نفسي فقد شملها من الظلام والقتام شيء كثير
حتى انها لا تراها عين وحال بينها و بين النظر الى سيدها حتى لا
تراه بدالة· والكهنة هم ملح الارض لكن من الذي يقدر على احتمال
قلة خبرتي اللهم ان تكونوا انتم الذين زدتم في محبتنا ومن عادتكم
اخلاص المودة لنا · وليس يكفي الكاهن ان يكون طاهرًا نقيًا
فقط ليكون اهلاً لهذه الخدمة بل يليق به ان يكون سديدًا لبيًا
والاجدر به ان يكون خبيرًا بامور كثيرة ومحنكًا فيها وان يكون
عارفًا عالمًا بجميع امور العالم ليس باقل من القوم المتصرفين فيه·
و ينبغي ان يكون مع هذا متعاليًا عن هذه جميعها باعلى من
الرهبان القاطنين في الجبال والاطوار اذ الضرورة تدعوه الى مخالطة
ومخاطبة رجال ذوي خدم وخول وغنى وثروة وممارسين امور
الشعب من ذوي الاقتدار والسلطة فيجب عليه ان يكون متفننًا
متلونًا معهم · وقولي ان يكون متلونًا لا اريد به ان يكون ذا خبث
وملق ورياء بل ان يكون على غاية الحرية مفعمًا من الدالة
والوجاهة و بصيرًا بالتنازل في موضع المنفعة متى اقتضت ذلك
الامور السانحة وان يجمع بين اللين والصرامة· لانه لا يستطيع
ان يمازج و يعاشر كل واحد من الناس بفن واحد اذ كان لا

يستعمل احد من الاطباء مع جميع المرضى دواءً واحداً مهما كان جاهلاً ولا يسلك النوتي طريقاً واحدة في مقاومة الانواء والارياح لان انواء كثيرة مختلفة تلم بالسفينة التي يدبرها الكاهن لا تصادمها من خارجها فقط بل تتولد فيها من داخلها· فالحاجة داعية اذاً الى تنازل كثير وتنقير غزير ·

وهذه الاشيا المتباينة يجب ان يقصد بها غاية واحدة وهي مجد الله تعالى وتشييد الجماعة وعمارة البيعة · نعم ان جهاد الرهبان لعظيم وتعبهم غزير لكن ان قاسى الانسان اعراق هولاء بحال الكهنوت المخدوم حق الخدمة فانه يجد الفرق بين الامرين عظيماً بمقدار الفرق بين الملك وبعض العوام · لانه وان كان التعب هناك غزيراً فان الجهاد مشتركاً مشاعاً بين النفس والجسم والوفاق بينهما تاماً بل ان التعب اللاحق بالجسد يساعدهم على الخير والصلاح الذي يعتمدونه · واذا كان الجسد ضعيفاً غير قادر فان الرغبة لا تزال قوية فيهم حينما لا يمكن ان تخرج الى الفعل لان الصوم المديد والنوم على الارض والسهر وهجر دخول الحمام وما يلزمون به نفوسهم من التوشح بالحديد وبقية الاعمال التي يعتمدونها في تذليل الجسد وتنحيفه تمضي حينئذٍ جميعها بلا فائدة اذ كان الجسم الذي يجب ان يعاقب ليس قوياً بل

ضعيفاً · واما في الكهنوت فالصناعة متعلقة بالنفس دون الجسد ولا تحتاج الى صحته وعافيته لتُظهر بذلك فضيلتها لانه ماذا يهمنا من قوة الجسم حتى لا نكون متعجرفين ولا متهجمين او لنكون مستيقظين وعفيفين وجميلي الاخلاق ومالكين جميع الصفات التي جمّل بها المغبوط بولص صورة الكاهن الفاضل · وليس لاحد ان يتفوه بهذه انها تتعلق بالراهب المنفرد ويلزمه بها · فان فاعلي الاعمال المدهشة يحتاجون الى الآت كثيرة وبكر وحبال وسيوف وسكاكين · واما الفيلسوف فقد جعل في نفسه كل الات صناعته ولا يحتاج الى استعمال شي خارج هكذا تجري الحال فيما نحن بصدده فان الراهب يحتاج الى صحة جسده ويفتقر الى موضع ملائم لسيرته حتى لا يكون بعيداً كثيراً عن الناس وينبغي ان يكون مع هذا في الموضع القفر بالسكون والهدو ويحتاج الى اعتدال فصول السنة وطيب الهوآء لان ليس شيء اضر من فساد الهوآء لمن انهكت جسمه الاصوام · واما ما يلزمهم من الاهتمام بستر عريهم وسد جوعهم ومباشرتهم ذلك بذواتهم وما فيه من الصعوبة لديهم فلا حاجة الى تبيانه هنا ·

واما الكاهن فلا يحتاج الى شيء مما ذكرنا اذ كان مشاركاً

ومخالطاً للناس في جميع الاشياءَ التي ليس فيها ضرر وقد امتلك صناعته الالهية في كنوز نفسه · فان عجب انسان من ثباته فريداً وحيداً متنكباً عن مخالطة عامة الناس فانا اطابق مع من اعتقد هذا فيه انه امارة الصبر وعلامة الثبات الا انه ليس بدليل كافٍ على كمال قوة الشجاعة التي في النفس لان الجالس على المركب وهو داخل المواني لا يُظهر اعتباراً ولا براعة صناعته · فاما من استطاع خلاص مركبه في الشتآء من وسط اللجة فليس انسان يقول عنه انه ليس بمدبر فاضل · فاذاً لا ينبغي ان نعجب من الراهب غاية العجب لانه توفر بانفراده على السكوت ولم ينزعج بشيءٍ ولا نستغرب من انه لا يخطي خطايا كثيرة عظيمة اذ كان ليس له شي يحرّضه على ذلك وفقد كلما يبعثه عليه بل يجب ان نعجب ممن قد سلَّم نفسه لجم غفير وخلق كثير واضطر الى احتمال خطايا كثيرين فثبت رصيناً مكيناً · وكما انه يجب ان يعجب ويزهزه لمدبر السفينة في النوء الشديد كفي الغلينة هكذا يجب ان يعجب من هذا الكاهن الذي يدبر سفينة نفسه ويجعلها تسير بامان وسلام بين العواصف وهو اهل لان يفوز من الكل بالمديح الوافر لانه قد ابدى اعتباراً عظيماً على شجاعته · فلا تعجبن منا اذاً والحالة هذه اذا خرجنا من العالم

هاربين ونكبنا عن مخالطات الناس وان وجد من يعجب مني لانني ما اخطأْت في حال نومي اذلم يصارعني احد وانني ما رشقت بسهام لكوني لم ادخل في قتال٠ فقل لي اذاً من الذي يشهر باعمالي ومن الذي يظهر عيوبي اهذا السقف ام هذا البيت الا ان الكلام غير مطلق له ام الوالدة لكن ما تخاصمنا مطلقاً ولو كان عرض ذلك لا يكون هذا الا من والدة فاقدة الحنة وماقتة لولدها حتى تسب وتعيب من غير ضرورة لاجية ولا شدة دافعة عند الكل ولدها الذي طلقت به وولدته وربته ٠ ولو اراد انسان استكشاف نفسنا استكشافاً بليغاً لكان يجد فيها اشياء فاسدة ولا تجهل ذلك انت المعتاد ان تفخّم امورنا عند الكل بالمديح اكثر من غيرك من الاصحاب وان كثروا

واما كوني لست ماجناً بكلامي هذا فاني اذكرك بالكلام الذي جرى بيني وبينك بسببه واجبتك عنه وهو لو خيرني بعض الناس اين اشاء النجاح أَفي التقدم في البيعة ام السلوك في طريق الرهبان فقد كنت تائقاً الى الاول لانني ما برحت مطوباً الذين فيهم استطاعة على تقلد هذه الخدمة والقيام بها حسناً٠ ولو كان فيَّ كفاية لان اتقلد ما كنت اتمناه وفررت الان من الدخول فيه لكان لقولك سبب لكن ما من احد يضاد قولي

لكن ماذا اصنع وما الذي نالني اذليس شيء مضر في تقلد خدمة البيع مثل البطالة وترك الهذيذ وهجر القراءة التى يظن البعض انها نسك عجيب واما انا فقد اتخذتها سترة لفشلي ساتراً بها كثرة مناقصي لئلا تنكشف لان من قد اعتاد الاستمتاع بمثل هذا السكون و يقضي وقته بهدو كثير ولو كانت طباعه فائقة عظيمة يقلق و ينزعج من قلة خبرته وعدم اتقانه لاعماله وفقده الارتياض عليها يبتر من قوته جزاءً ليس بصغير· فاما اذا كان فكره بطياً وغير خبير بهذه الاقوال والجهادات (وهذه هي صفة حالنا) فمتى نقلد هذه السياسة فلا فرق يكون بينه و بين الطباع الحجرية ولذلك الداخلون في هذه المصارعات والقادمون الى هذه الجهادات لا يظهرون ولا يغلب منهم الا القليل والاكثرون يضجعون و يستلقون و يصابرون على امور ردية كريهة وليس هذا بخارج عن الواجب بل هو متوقع ومنتظر· لانه اذ لم تكن جهادات المصارعين ورياضاتهم مشاكلة لذلك فلا يكون فرق بين المجاهدين المرتاضين و بين غير المرتاضين· والقادم الى هذه المعركة والحلبة فالاولى به اطراح المجد قبل كل شي والاجدر به ان يتعالى عن الغضب وان يكون موازراً بسداد الفطنة· ومن الف العيشة الوحدية فليس به حاجة الى الارتياض

بشيء مما ذكر لانه ليس له اناس يغضبونه حتي يحكم كظم الغيظ ولا له قوم يزهزون له ويعجبهم كلامه لكي يحكم الازدراء بالمديح · والسداد الذي تقضيه امور البيعة لا يهمهم كثيراً · ومتى اقدموا على جهادات ليس لهم خبرة بها يحارون ويتوهون ولا يزدادون لذلك فضيلة بل على اكثر الامر كثير منهم اضاعوا الفضيلة التي كانت معهم ·

قال باسيلوس فماذا ترى أنخوّل هذه الخدمة ونصدّر في البيع القوم المتقلبين في الوظائف المهتمين بامور العالم المدعوكين بالسفه والخصام والحروب

فقلت له ايها المغبوط طب نفساً فمتى كان البحث عن الكهنة لا يجب ان يدور في خلد الناس ولا يخطر في بالهم انسان هذه صفاته بل يجب ان يختار من استطاع معاشرة الجماعة ومخالطتهم وحفظ نفسه بالطهارة والسكون والقداسة والاستيقاظ وباقي الصالحات اللائقة بالرهبان بل يجب ان يحفظها ايضاً ثابتة غير متقلقة ولا متزعزعة باكثر مما اقتناها الرهبان الموصوفون بها · فان الذي تفرد في عيشته وله مناقص كثيرة يمكنه سترها عن الجماعة اذ كان لا يخالط احداً ومتى برز الى الوسط لا يربح شيئاً غير الضحك عليه بل يعطب عطباً فاحشاً · وعما قليل كان لحقنا هذا

لامر لولا عناية الله التي ازاحته عن هامتنا واخمدت هذه النار لان من كان بهذه الصفة لا يخفى امره على احد اذا برز الى الوسط بل سائر احواله تمتحن وتسبر كما تسبر النار للمواد المعدنية هكذا الكهنوت يميز نفوس الناس ويفرزها ٠ فان كان الانسان غضوباً او صغير النفس او محباً للمجد او متعجرفاً او مهما كان فيه من بقية الخصال المذكورة فقد تكشف حاله وتوضح حالاً وما تكشف فقط بل تزداد قباحة ورداآة ٠ وكما ان جراح الاجسام تصير اصعب مداواة متى مسها احد هكذا اسقام النفس متى تحركت بغير فطنة ولغير موجب فانها تزداد احتداداً وتضطر اصحابها على عملها بنوع زائد او فاحش لان هذه الاسقام تدعو باول الامر صاحبها الى الانتفاخ قليلاً وتحركه بعد هذا الى طلب المجد ومحبة الكبرياء وتبعثه على شهوة القنيان وتجذبه الى الترفه والراحة والفشل والكسل وقليلاً قليلاً تدهوره الى ما هو ادنى واقبح فيما تولده له من الشرور ٠ وما اكثر ما في العالم من الاشياء القادرة على ارخاء النفس واعاقتها عن المسير في الطريق المستقيم المودي الى الله

واعظم واكبر شر مخالطة النسوان اذ كان المقدم في البيعة المهتم بالرعية لا يحسن به الاهتمام بالرجال واهمال النسوان اللواتي هن

اشد حاجة الى الاهتمام والعناية لسهولة سقوطهن في الخطايا ولذلك ينبغي للمتصدر في البيعة ان لا يوفر من اهتمامه شيئاً عنهن بل يجب ان يساوي بينهن وبين الرجال في الاهتمام وان يراعي من كان منهن في عافية ويتعاهدهن اذا مرضن ويعزيهن متى اضجعن ويساعدهن متى وقعن في شدة وفي غضون هذه التصرفات يجد الخبيث مداخل كثيرة ان لم يصن المرء نفسه صيانة كاملة · لان العين تطمح وتشوّش فكر الانسان وليس العين العاهرة فقط بل العين العفيفة · والتملق والمديح يضعف العزم ويوهن القلب والكرامات الزائدة والمحبة المفرطة تستعبد الانسان وتستولي على عواطفه والشيء الذي هو سبب لكل خير وصلاح يصير سبباً لوبوات من الطالحات عند مستعمله على صفة قبيحة · ومع ما ذكرناه فالاهتمامات المترادفة تكسر من حد الذهن وتجعل اللطيف منه اثقل من الرصاص · ومتى ثار الغيظ او الغضب فان محله في جوانح الانسان محل الدخان · ومن الذى يعدد المضار المتولدة من الاحزان ومن يصف المسبات والشتائم ومن ينعت الاضرار والملامات البادية من الاصاغر والاكابر والمتداولة على السن العقلاء والسفهاء اذ كان رعاع الناس عادمين التمييز الصحيح فيما يعملون وما اكثر ملامهم وما اقلهم قبولاً للعذر

فمن هنا يجب على من كان متقدماً عليهم الا يستهين بهم ولا يطرحهم بل يجب عليه ازالة ما يثيرونه بلطف ووداعة كثيرة وان يستعمل معهم الصفح عن ملامهم واكثر من ذلك لا يليق به ان يغضب ويتكره منهم لذلك لانه ان كان بولص قد خاف وخشي لئلا يتهمه التلاميذ بسرقة فاضاف قوماً اخرين الى الذين كانوا مؤتمنين على خدمة ما ينفق وقال لئلا يلصق بنا دنس وذم في هذه الخدمة التي نحن نخدمها (٢ كو ٨ : ٢٠) فكيف لا يلزمنا نحن ان نستاصل ونبيد كل الظنون الردية ولو كانت ميناً كذباً ولو كانت لا تقبل عقلاً وبعيدة عن الاعتقاد فينا ونحن ما ابتعدنا عن الاثم بمقدار ما ابتعد بولص المغبوط حتى لا يُظن به ويُتهم بالسرقة حال كونه على بون بعيد وبعد شديد من هذا الفعل الردي لكنه ما اهمل ولا تغافل عن ظنون العامة مع انها كانت جنونية وبعيدة عن القياس والصواب لانه جنون محض ان تسدك تهمة بهذه النفس السعيدة . وعلى اختلاف العلل لا يظن احد فيه هذا الظن الا من كان قد توسوس او به لمم . لكنه مع هذا ما ازدرى ولا تهاون مع ذلك بجهل العامة بل استاصل اسباب ذلك من بعد بعيد وما خطر في باله ولا قال في نفسه من يتجرأ ان يظن بنا هذا الظن

وهذا الشعب يبالغ في اكرامنا ويعجب من لطفنا ودعتنا بل ردَّد في فكره ما ضاد هذا اذ سبق واستدرك هذه الظنة الردية واستاصلها من جرثومتها والاولى ان يقال انه من اول وهلة لم يتركها ان تخرج وتنمو . ولِمَ فعل ذلك ؟ يقول اننا نعتني بالمحاسن ليس امام الله فقط بل قدام البشر (رو ١٢ : ١٧) وبهذا المقدار بل بازيد منه كثيراً يجب ان نستعمل الجد والحرص لا لنزيل ونمنع الاحاديث والفظيعات ان تقال فينا وتصل الينا بل يجب ان نستدركها وننظر اليها من البعد السحيق لنرى من اين تتولد ونتقدم بازالة اسبابها التي تولدت منها ولا نمكنها من الوجود والانتشار وتداولها على السن العامة لانه حينئذٍ لا يسهل ابادتها بل تشتد صعوبة ذلك وربما كان لا يمكن ولا يستطاع ولا يصير الخلاص من ضررها بغير غرامة وخسران

لكن مالي وطلب ما لا اصل اليه والتماس ما لا اقدر عليه لان من رام تعداد كل هذه المصاعب يشبه من يروم تعداد امواج البحر فلو كان الانسان نقياً من الآلام ومعافى من الاسقام (وهذا لا يمكن) لكانت الضرورة تدعوه الى احتمال آلاف من الشدائد لكي يثقف هفوات غيره واذا انضاف الى هذا هفواته وخطاياه فانظر الى عظم هذه الاهتمامات والاتعاب وادر في خلدك كم من

الشدائد والمصاعب يجب عليه ان يباشر اذا شاءَ الاستيلاءَ والانتصار على مناقصه ومناقص اتباعه

قال المعترض الان ما بك حاجة الى اتعاب ولا الى اهتمامات على حال وحدتك وانفرادك

اجبته بل انا ذو همّ وتعب على حالتي هذه لانه كيف يمكن ان يكون انسان يحيا هذه الحياة ذات النصب والتعب ويتخلص من كل هم وغم فمن وقع في لجة غير متناهية لا يكون مثل من دخل في نهر ووقع فيه فهذا هو قياس اتعاب واهتمامات المتوحد المنفرد مع من برز الى العـالم على اني لو قدرت ان انفع غيري لاقدمت على هذه الخدمة لكوني اشاء هذا واتمناه لكن حيث اني لم اقدر على منفعة غيري واقدر على منفعة ذاتي وانقاذها من العطب فقد يكفيني هذا

قال باسيليوس اتظن بهذا الامر انه عظيم وتظن انك تخلّص نفسك اذا لم تنفع غيرك

قلت له ما احسن ما قلت واجوده لانني لااصدّق ان الانسان يقدر على خلاص نفسه اذا لم يسعَ في خلاص قريبه لان ذلك الشقي الانجيلي ما انتفع بكونه ما مس ما اعطاه سيده من الوزنات ولا نقصها وانما اهلكه لاجل انه ما انماها ولا ضاعفها لكن على

حسب ظني يكون عقابه متى شكي بانه مـا خلص غيره اخف والطف من ان يشكى بانه اهلك ذاته مع غيره واظن ان عقوبته تزيد بزيادة آثامه · واما بعد قبوله الرئاسة واخذه هذه الكرامة فلا تزيد عقوبته دفعة واثنتين و ثلاثة فقط بل تكون بمقدار خطايا اتباعه · واي ذنب افظع من ان الانسان يستخدم هذه الكرامة التي منحها الله له في مخالفته واهانته · ولهذا عندما يثلب الكتاب بني اسرائيل ثلباً ممضاً بهذا الامر يبيّن انهم ما استحقوا من العذاب آلمه ومن العقاب اعظمه الا لانهم اخطوا بعد احسانات الله اليهم وترادفها عليهم لان الكتاب يقول دفعة هكذا لانني عرفتكم وميزتكم من جميع قبائل الارض لذلك انا انتقم منكم ومن كفركم والحادكم (عا ٣ : ١١) وتارة يقول اتخذت من اولادكم انبياء لي ومن شبانكم افرزت لي نذراء (عا ٢ : ١١) ومن قبل الانبياء لما شاء ان يظهر بالضحايا ان خطايا الكهنة اعظم من خطايا الاعوام والعقاب عليها اشد واعظم امر ان يقدَّم عن الكهنة من الضحية مقدار ما يقدم عن الشعب كله (لا ٤ : ٣—١٤) وهذا الامر يدل على ان كلوم وجراح الكهنة محتاجة الى عناية بمقدار ما تحتاج هفوات الشعب كله · وما كان الكهنة يحتاجون الى هذا لو لم تكن جراحهم واسقامهم اصعب وانكد

وصعوبتها ليست طبيعية من نفس طباعهم بل هي ثقيلة و باهظة من قبل الكاهن المتجاسر على الكهنوت · ومالي اتكلم عن الكهنة المتقلدين هذه الخدمة انفسهم اذ بنات الكهنة (اللواتي لم يكن لهن شيء من الكهانة وخدمتها) لاجل منزلة والدهن فقط كان عليهن من طائلة الخطايا ما هو امر وامض لان خطاياهن مثل خطايا باقي البنات اذ كان ما يرتكبه كل من الفريقين هو من الزنا فاما الطائلة على بنات الكهنة فقد كانت اثقل واعظم

اشاهدت مقدار زيادة الافراط والمغالاة التي يريكها الله بانه يعاقب الرئيس بعقاب زائد اشد مما يعاقب المرؤوسين لانه تعالى لا يعاقب وينتقم من ابنة الكاهن باكثر من ان يعاقب الكاهن لاجل هذا السبب ذاته وبواجب زاد في عقاب بنات الكهنة لان الخسران والغرامة ما تقف عندهن لكنها تؤذي نفوس الذين هم اشد ضعفاً اذا نظروا اليها والى ضعف قوتها وهذا بعينه لما شاء يعلمنا اياه حزقيال النبي في يوم الدينونة ميز بين الكباش والاغنام وفصل بينهما · الا تظن الان بان عذرنا واضح في الفزع الذي فزعناه وفي الهرب الذي لذنا به

واذا قطعنا النظر عما قدمته من الكلام وعما اقاسي لئلا تستولي عليَّ الالام فاني عازم على ان احتمل التعب ولا

اهرب من النصب لانه قد استولى الان عليَّ حب المديح الباطل · ومراراً كثيرة ارجع الى نفسي وارى ان الالام قد اقتنصتني فازجر نفسي المستعبدة لشهوات تعرض لي لكن اشتعالها بطي اذ كانت العيون الظاهرة الجسمانية ليس لها مادة تشعل هذه النار ولا تجد امامها شيئاً تعلق به · وقد استرحت من ان اسب ولا اسمع من يسب اذ لا يخطر لي من يلفظ بلفظة مطلقاً وهذه الحيطان لا تنطق ولا تتكلم ابداً الا انني ما قدرت على كظم الغيظ وقهر الغضب لانه ليس عندي من يحدّني ويبعثني الى ذلك · غير انه متى ذكر اناس مفسدون وتحدثنا بما يصنعون يفور قلبي غضباً لكن لا الى غاية بعيدة اذ كنا نطفي سريعاً لهيبه ونخمد اجيجه ونقنعه ان يزيل هذا عنه قائلين له ما اقبح ما بنا وما ابعدنا عن الصواب حيث اننا ننكب عن مناقصنا ونهتم فيما يتعلق بغيرنا

الا اني متى توسطت الجماعة واستحوزت عليَّ الاختباطات الكثيرة فلا استطيع حينئذٍ الاستمتاع بهذه الموعظة ولا اجد هذه الافكار التي تؤدّبني وتهذبني هذا التهذيب بل تكون حالي حال من قد جره سيل عظيم الى شفير هار او كحال من اضطرته قوة ورفعته ودهورت به الى اقصى الهلاك الذي انتهي اليه لو لم استدركه

حيث انه لا يكون لي حينئذٍ امل بمعونة احد مطلقاً فهكذا متى وقعت في اختباط هذا الالام المتكاثرة يمكن ان ارى العقاب يتزايد في كل يوم · فاما ان اردت حينئذٍ ان ارجع الى ذاتي وازجر نفسي التي قامت عليها هذه الاعراض القاسية فلا يكون هذا متيسراً عندي اذ تكون نفسي ضعيفة صغيرة سهلة الانقياد ذليلة ليس لهذه الالام وحدها بل لالم الجسد الذي هو امر الالآم كلها واصعبها وارداها ولا يكون لي قوة منة على احتمال المسبات ولا الكرامات بقصدٍ وقدرٍ لان الكرامات تجعلها ان تشمخ زائداً والمسبات تذلها وكما ان الحيوانات الردية متى تقوت ونهمت تستولي على ما حاربها من الحيوان ومتى كانت ضعيفة قليلة الخبرة او متى اضواها الانسان بالجوع فانه يسكن غيظها ويخمد قوتها حتى يطمع في ضربها وقتلها الجبان والضعيف وعلى هذه الحال تجري اعراض النفس التي تذل النفس وتخضعها للقوة الناطقة والافكار المستقيمة والذي يسرف في غذاها فكانما يزيدها قوة لتقاتله وهكذا يجعلها اشد ارهاباً له حتى انه يقضي بقية حياته في خوف وجزع واستعباد

وان سالتني ما هو غذاء هذه الوحوش اجبتك ان غذاء المجد الفارغ الكرامات والمديح · وغذاء الكبرياء والعجرفة السلطة

والرتب العالية · وغذآء الحسد سعادة جيرانك ومعارفك · وغذآء محبة الفضة الصلات والهبات وغذآء الشهوات الترفه و كثرة ملاقاة النساء· وكل مرض من الامراض وعارض من الاعراض له سبب ينميه و يزيد فيه · وجميع هذه اذا برزت الى الوسط وسط العالم تهجم عليَّ وتمس نفسي وتفزعني وتجعل المحاربة عليَّ اشد صعوبة · ومتى جلست في موضعي هذا محل الانفراد فانا اذللها واخضعها بعنف وقسر و بمعونة الله تذل وتخضع ولا يبقى لها قوة غير المناداة بالويل · ولهذا اذا اقتصرت على سكنى هذا البيت لا اخالط ولا احادث احداً ولا امازحه فاحتمل ملامة مثل هذه وانبذها بل اطرحها عني بلذة · فاما ان بلغت اليَّ باذاها ولا اتالم منها فليس ذلك بممكن اذ كان لا يتيسر لي ان اكون مخالطاً وممازجاً لك وانا مقيم على ما انا عليه ولذلك ارغب اليك ان ترحم من قد شملته هذه الشدة باولى من ان تلومه·

اترى بعد هذا ما اقنعتك ؟ فانظر الان في ما اريد ان القيه عليك وهو سري الخفي وربما لا يقبل عند كثيرين ولا اخشى ان اقوله امام الناس وان كان فيه كشف اثام وبيان ضمير خبيث لانه اذا كان الله تعالى العتيد ان يديننا عارفاً بجميع

اسراري معرفة بليغة فماذا ننتفع اذا جهلها البشر

فاي شيء هذا السر الذي عزمت ان ابوح به اليك ؟ من اليوم الذي القيت الي فيه هذا الفكر بشان الكهنوت مراراً كثيرة كاد جسمي يعطب ولقد مس نفسي فزع شديد ولحقها كآبة زائدة لانني لما افتكرت في عظمة مجد عروس المسيح وقداستها وجمالها الروحاني وسدادها وحسن نظامها وافتكرت في شروري ومناقصي ما زلت اقنعها واقنع ذاتي بعدم صلاحي وكنت اتنهد تنهداً متصلاً واخاطب نفسي بهذه الاقوال قائلاً هكذا من الذي اشار بهذا واي خطية خطئت بيعة الله وما هو السبب الذى حد واغضب السيد عليها الى هذا الحد حتى تسلم اليَّ انا احقر الجماعة كلها واقلهم صلاحاً وكيف تحتمل استخزاء هذا المقدار مقداره . وما زلت اردّد هذه الافكار في نفسي مرات كثيرة ولما لم يمكنني احتمال زيادة قباحة هذا الامر وفظاعته استلقيت صامتاً مثل من خواطر في عقله لا استطيع ان ارى ولا اسمع شيئاً وكنت متى وجدت راحة يسيرة مما نزل بي تتحادر دموعي واكتئب حزناً وبعد شبعي من البكاء كان يستولي عليّ الجزع من جديد مزعجاً مزعزعاً افكاري بلا شفقة وبهذه الزوبعة قضيت ما سلف من عمري وكنت

تجهل حالي وتظن اني بسكون وهدو الا انني الان اروم ان اكشف لك شدة عواصف اهواء نفسي عساك تصفح لي وتسامحني بذنوبي فان شئت ان تعلم ذلك علماً واضحاً (ولا يجوز لي ان اكتمك منها شيئاً) فليس الى ذلك سبيل الا بان اعرّي لك قلبي واجرّده واذ كان هذا مما لا يستطاع فانا اخوض الان بان اريك اياه بمثل في غاية الخفاء واللطف واوقفك على حالي من الدخان الخارج من الكآبة فتستدل من هذا على شدة التهاب هذه النار. فنفرض ان خطيبة ابنة ملك على كلما تطلع عليه الشمس من الارض ونفرض ان هذه الجارية ببارع جمالها فاقت الطبيعة البشرية وزادت بحسنها على جمال جميع النساء زيادة فائقة وعلت بفضائل نفسها على جنس الرجال ايضاً حتى انها فاقت الموجودين والذين سيولدون فيما بعد من الزمان وقد علت بحسن اخلاقها على رسوم الفلسفة وادابها العملية كما كسف حسنها جمال النساء . ونفرض ان خطيبها ليس لاجل هذه المناقب والمحامد قد التهب بعشقها بل كان مغرماً بها من دون هذه الاوصاف وما زال يزداد بهواها غراماً وبحبها هياماً على ممر الزمان ودوام الايام ثم وهو هائم بحبها وهي تلك المعشوقة المستحب منها سمع ان بعض رعاع الناس من ادنياء الرجال وسفالتهم لا اصل له ولا

فصل رجل مشوه الخلقة اخبث اهل زمانه واشرهم يريد ان يتخذها له زوجة ويقترن بها · فهل اطلعت من هذا المثل على جزءٍ من حزننا وتوجعنا ؟ وهل تنتفع به حتى نقف عند هذا الحد منه وانا احسب انه كاف فيما يتعلق ببيان هذا الامر لان العلة التي لاجلها ضربناه انما هي لكيما اريك مقدار جزعنا واندهالنا وانا اريكه ايضاً بمثل اخر اضربه لك

نفرض ان جيشاً قد اجتمع من خيالة ورجالة ركب السفن وشحنت به حتى غطت البحر بكثرتها وكذلك ايضاً قد اجتمع في البر خيل ورجال حتى غطت البقاع والجبال بالسلاح الكامل وقد اشرقت الشمس عليه ولمعت الخود والدرق وصهلت الخيل وصلصلت الرماح والسنان وقد استترت الارض والبحر حتى لا يرى غير اسلحة والات حربية وقد وقف في مقابل هذه الجيوش عسكر بربري وحشي لا نظام له واذ التحم الفيئتان اختطف الناس فتىً ممن ربي في القرى لا يعرف شيئاً من القتال غير الضرب بالعصا والصراع وسلّحه بسلاحات حديدية وطاف به في العسكر واراه الكمائن والمخادع والرماة بالقوس والرماة بالمقاليع والرماة بالمزاريق وقادة الجيوش وامراءها وخيلها ورجالها واخذ ينتقل به الى عمارة البحر ويريه المراكب المشحونة بالعدد

المهياة للحرب والقتال ويظهر له مع ذلك مقابلة العسكرين المتحاربين وكشف له مناظر يستفاد منها في الحرب واستعدادات تغني عن السلاحات من وديان عميقة وطرقات ضيقة وجبال عالية وسهول واسعة تموج بخلائق لا تحصى وقبائل لا تعد واراه مع ذلك ما عند المعاندين من الخيل الطائرة في الجو واناساً متسلحين طائرين في الهواء وصوّر له كل صور السعد والنحس وعدَّد له كل مصائب الحرب من رشق السهام وطعن السنان وكثرة الضبابات التي تزيد على ظلام الليل واثارة سنابك الخيل للقتام والغبار التي تظلم منها العيون ومجاري دماء الجرحى وعويلهم وجلبة المقاتلين وجماعات القتلى المستلقين بين بكر وعجل مخضبة بالدماء واراه الفرسان وخيلها تدوس الناس بارجلها وكثرة كثيرة من الاموات حتى لا ترى ارضاً الا وقد غطتها الدماء وانواع الاسلحة والنبل والسهام والرؤوس قد تطايرت والجثث قد تفصلت اعضاؤها وتقطعت اوصالها والنصلات قد تكسرت في الفرائص والعيون قد خرجت وتطايرت ويعدّد له بعد هذا مصائب السفن الحربية التي بعضها احترق وذهب طعاماً للنار وهو في الماء وبعضها قد غرق من تلاطم الامواج بمن فيها من المقاتلين فصار لذلك في

البحر ضجيج وعجيج حتى عب عبابه واختلطت دماء الجند المحاربين بزبد الامواج وامتلاء اليم من جثث الغرقى فيه وكثرة من هلك في لجحه حتى المواني انسدت منافدها بالسفن واذا اوقفه على مصائب القتال فليضف الى هذه المصائب التي يحدثها الاسر والاستعباد الذي هو ارمض واشد من جميع انواع المتيات فاذا عرّفه بجميع ما شرحنا اركبه فرساً وامره ان يتقدَّم ويترأَس ويقود ويسوس هذا الجيش افتظن بهذا الفتى المراهق فيه قوة لسماع هذا الشرح ام تفارق نفسه جثمانه من اول نظرة ينظر بها الى ما ذكرنا

ولا تظن انني بالغت بما قلت وعظمت الامر ولا تقل بما اننا قد سجنا وحبسنا في هذا الجسم فلا يمكننا ان نعاين شيئاً من امور هذه القوى الغير منظورة لنستهول ونستعظم ذلك ٠ فلو كان ممكناً ان نعاين بهاتين الناظرتين المحسوستين مصافات ابليس ذات الحنق لكانت تصير عندنا هذه الحرب افزع وارهب واظلم مما وصفنا كثيراً لانك ترى قتالاً بدون حديد ولا نحاس ولا افراس ولا فرسان ولا بكر ولا عجل ولا نبل ولا سهام ولا نار محسوسة بل كنت ترى من الحيل ما يزيد عما وصفنا من الالات الحربية والسلاحات القتالية وتنظر ذلك الخبيث اللعين وحده

يفرح في انحلال النفس واسترخائها متى لم تكن شجاعة و بشجاعتها وشهامتها تحظى بمعونة وافرة من الله · ولو كان مما يستطاع خلع هذا الجسم الذي نحن لابسيه وان نعاين عياناً جميع حرب ابليس لنا ونرى بعيوننا مصافته ومقاتلته لقد كنت تشاهد ليس انهار دماء وجثث اموات بل كنت تبصر نفوساً هاوية وارواحاً ساقطة وجراحات مستصعبة وكنت تعتقد في ذاك المثل الذي ضربناه لك انه لعب صبيان والاولى ان يدعى لعباً مما يدعى قتالاً وما اكثر المصابين في كل يوم وجراحاته وكلومه ليست سواءً بل الفرق بين حربه وهذه الحرب ان هذه تهلك وتميت الاجساد والاجسام وتلك تعذب النفوس والارواح والروح اذا جرحت فلا تستلقي وتكون عادمة الاحساس مثل الجسم بل تعذّب وتعاقب بالضمير الخبيث و بعد انتقالها من هذا العالم في يوم الدينونة يتسلمها العذاب المخلد الذي لا يباد · وان كان الانسان لا يحس بجراح ابليس فما اصعب ما يناله من عدم احساسه لان من لم يحس من الجرح الاول لا يتحاشى جرحاً ثانياً ولا ثالثاً لان النجس الرجس لا يكف عن حربه الى اخر الانفاس اذا وجد نفساً مستلقية متهاونة بالكلوم التي جرحها بها · وان اراد الانسان استقصاء فنون مصادماته فانه

يجدها اصعب مراساً واشد باساً من ملاحمات الحروب الوحشية لانه لا يعرف احد انواع الحيل والغش والتلصص مثل ما يعرف هذا اللعين اذ كان يستفرغ كل قوته في حرب هذه النفس · ولا يقاوم احد عدوه بمقدار ما يستعمل هذا الخبيث في حرب الطبيعة البشرية · وان استبحث انسان عن النشاط الذي يقدم عليه فاذا قايسناه ببعض الانام كان هذا مما ان يضحك منه · وان امتحن مختبر ما كان من الوحوش البرية شديد الشراسة وقاسياً جاسياً فظاً وقاسه بحنقه لوجد هذا الحيوانات الطف وابلغ في الانس منه بمقدار شدة غضبه وهوله وغيظه اذا ارام قتل نفوسنا

وزمان الحرب الحسي هنا صغير حقير وفي مدة قصيرة تجد راحة كثيرة فاذا جاء الليل فصل بين المتحاربين ومتى كلوا من القتال لا بد لهم من الهدنة والسكون ولا بد لهم من تناول الطعام واسباب كثيرة تعرض لهم تمنح الجيوش راحة حتى يلقوا عنهم الاسلحة ويسترحوا قليلاً ويستعملوا من الطعام والشراب يسيراً فبهذا وما شاكله ينعشون قواهم · فاما في محاربة هذا اللعين الخبيث خزاه الله فلا وقت يترك فيه السلاح ابداً ولا زمان يرقد فيه الانسان المريد ان يكون سالماً غير مطعون ولا مالوم وهذه الحال تقتضي امرين اما ان ينكسف الانسان له ويهلك او

ان يكون قائماً ابداً مستيقظاً متدججاً متسلحاً · لانه ابعده الله وخزاه قائم على الدايم مع جنوده حريصاً و يترصد غفلتنا ليوقع بنا شره باذلاً فينا وفي هلا كنا من الجد والاجتهاد اكثر ما نبذله نحن في خلاصنا · ولكونه لعنه الله غير منظور فوثوبه علينا بغتة مما يسبب لنا مصاعب ومعاطب كثيرة و يظهر على من هو غير مستيقظ والحرب معه اصعب واشق من هذا لحرب الحسي

فان اردت ان نتقدم في هذه الجيوش فيكون بتقدمنا جدوى وفائدة لابليس لانه اذا كان من يرتب الجيوش ويامر فيها اوهن من الجماعة واقلهم خبرة ومن قلة خبرته يسلم او يهلك من تقدم عليهم تكون منفعته لابليس لا لأصحابه · فلماذا تبكي لان الحال لا تستوجب النوح والندب بل الفرح والسرور

قال باسيليوس ان اموري ليست كذلك بل توجب ندباً كثيراً وبكاءً طويلاً اذ كنت الان بكل كد وجد قدرت ان اعرف الى اي وهدة من الشرور قدتني ولم اتقدم اليك الا لاطلب منك احتجاجاً واعتذاراً عما يجب ان اقوله لشاكيك وانت فقد ارسلتني الى حيث أخرجتني فانني من الان لا يهمني ما اعتذر به عند اولئك بل يهمني ما اعتذر به عند الله من اجل شروري وقبائحي لكنني اسألك وارغب

اليك ان كان يهمك امري وكان لي عندك سلوة محبة وان كان ثم احشا مترقرقة ان تعزيني بالمسيح اذ كنت انت دون الناس كلهم سقتني الى هذا العطب فامدد لي يد المعونة وقل وافعل وانت قادر على تثقيفي وتهذيبي ولا تحتمل في وقتنا هذا الانفصال منا ولو قليلاً من الزمان لان الاولى بك ان تشاركني في تصرفاتي ولا تبتعد عني

فتبسمت لذلك واجبته اي شيء اقدر عليه فيما ينفعك ويلائم ما انت فيه من عظم الامور التي تباشرها ؟ واذا كان هذا مستلذاً عندك فتشجع يا هامة محبوبة لاني متى وجدت فرصة احضر لديك حالاً معزياً ومسلياً ولا ادع شيئاً من جهدي الا فعلته

فلما سمع ذلك زاد بكاه وطفر ماضياً فاما انا فاعتنقته وقبلت راسه وشيعته مخاطباً له باحتمال ما يعرض له بشجاعة وشهامة وقلت له اني واثق بالسيد المسيح الذي استدعاك لخدمته وقدمك لرعاية خاص غنمه انك ستكسب من هذه الخدمة له دالة ووجاهة تقتدر بها ان تقبلنا في مسكنك الدهري وقد شارفنا ولالهنا المجد ابداً الى دهر الداهرين امين

هذا آخر ما جاء في النسخة المذكورة وهي مطابقة كل المطابقة لما في الترجمة الفرنسوية ولا تختلف عنها في شيء يعتد به الا ان محاورة القديس مع والدته ناقصة من نسختي والكلام هناك مبتور ولا علاقة له بما قبله ولا بما بعده

وقد علق احد العلماء على هامش الكتاب في اخره حاشية تدل انه قابله على الاصل اليوناني فوجده مطابقاً له بدون زيادة ولا نقصان الا انه لم يذكر فيها اسمه

واما المعرب فلا نعلم عنه شيئاً الا ما ورد عنه في حاشية في اخر الكتاب وهي

« نجزت بحول الله وعونه وحسن توفيقه الست مقالات في الكهنوت مما الفه الاب الفائق قدسه الملئكية سيرته الذهبي فمه يوانيس الاخريصوستوموس باللغة اليونانية ونقله اصغر عبيد المسيح الحنا لذكره السجود يوحنا باسم قس راهب حقير يوانيكيوس وهو يسال كل من قرأ فيه ان يسامحه بالزلل والخطل فالله تواب غفار وله الشكر على نعمه التي لا تحصي ومننه التي لا تستقصى دائماً ابداً »

ثم يليها هذه الحاشية الثانية في تعريف الناسخ

« كتبه الحقير الذي تمت كتابته يوحنا باسم قس نجل الخوري فرج الله ابن المرحوم الحاج يوسف المعروف بقرازمط من نصاري اللاذقية المحروسة · قل الله يرحمه لكي يرحمك الله · قد كتبه لنفسه وكان هذا النقل المبارك عن كتاب الاب البار والسيد المختار والروحاني الطوباني كاهن الله ومختاره السيد يواكيم البطريرك الانطاكي ادام الرب الاله رئاسته ورحم المسكونة ببركات صلاته المقدسة وثبت كرسي قدسه امين

وكان النجاز من هذا المصحف المبارك نهار الثلثا حادي عشر خلت من تشرين الاول سنة سبعة الاف وست وستين للكون المقدس (١٥٥٨ م)

وقد بحث العلماء هنا (اولاً) عن زمان رسامة باسيليوس صديق فم الذهب (ثانياً) عمن يكون باسيليوس المذكور وعلى اي مدينة كان اسقفاً (ثالثاً) متى كتب له القديس فم الذهب هذا التاليف . ونحن نلخص ما قرر في هذا الشان العلامة مونفوكون Montfaucon الذي نشر كل تاليف هذا القديس وطبعها باليونانية بعد مقابلتها على نسخ كثيرة قديمة

فعن المسالة الاولى فقد ورد في المقالة الاولى من هذا الكتاب ان فم الذهب كان حينئذٍ يتردد الى المجالس والملاهي اي قبل سنة ٣٧٥ التي باشر فيها بالنسك الصارم وقضى فيه ست سنوات بعد ان ترك الدرس وطلب العلم ومن ثم يجب ان تكون قد وقعت هذه الحادثة بين سنة ٣٧١ التي ترك فيها معلمه الاخير ديودورس الطرسوسي و بين سنة ٣٧٥ . ولا يعترض على هذا بانه كان حينئذٍ شاباً لا يتجاوز اكثر من سبعة وعشرين سنة وهذا لا تسمح به القوانين لقبول الاسقفية ولا الكهنوت . لان هذا الاعتراض ليس له محل مع الرجال النوابغ مثل فم الذهب الذين لم يخلُ منهم تاريخ الكنيسة

واما المسالة الثانية فقد اختلف العلماء فيمن يكون باسيليوس المذكور الا ان اصح الاقوال هو ما ذهب اليه العلامة مونفوكون وهو ان باسيليوس هو اسقف رافنا الذي امضى اعمال المجمع القسطنطيني سنة ٣٨١ ولا يصح ان يكون احد سواه لانه يوافق وحده بالزمان والمكان لما ورد عنه في الكتاب لان رافنا قريبة لانطاكية يسهل على فم الذهب ان يزوره فيها مراراً كثيرة و يسكن معه فيها كما جاء في اخر المقالة السادسة

واما الثالثة فالاصح ما يشير اليه نص الكتاب في مواضع كثيرة

بان القديس وضع هذا الكتاب بعد انقضاء مدة من الزمان على هذه الحادثة وفترة على انشغال باله واضطراب بال صديقه واستنادًا على بعض النسخ القديمة وضعه هذا القديس لما كان ناسكًا اي بين سنة ٣٧١ التي باشر فيها النسك وسنة ٣٨١ التي عاد فيها الى انطاكية ورسم شماسًا

ثم الحقنا بهذه المقالات الجليلة هذين الميمرين عن نسخة خطية قديمة وهما لا يخرجان عن موضوع الكتاب حرصًا على ما فيهما من الجواهر والزواجر المفيدة

﴿ ميمر ﴾

من قول يوحنا فم الذهب على الذين يتخلفون عن القداسات الالهية وعن المائدة الطاهرة

كما انه لا صنف من اصناف المنفعة يحصل الذين يزرعون على قارعة الطريق على هذا النحو لا منفعة لنا اذا دعينا مسيحيين بالتسمية اذا لم تكن لنا هذه التسمية ملايمة لاعمالنا . وان شيتم اوردت لما ذكرته شاهداً صادقاً وهو كلام يعقوب اخي الاله اذ يقول الايمان اذا كان خلواً من الاعمال فهو ميت (يع ٢ : ٢٠) وعلى سائر الاحوال الحاجة ماسة الى افتعال الاعمال الصالحة وذلك انا متى خلونا من افتعالها لا يقدر لقبنا بمسيحيين ان ينفعنا على ما ذكرناه . ولا نستغرب ذلك لانه ما فائدة الجندي من تدوينه جندياً اذا لم يكن اهلاً للجندية ولم يقاتل من اجل الملك الذي يستمد منه طعامه وجرايته دائماً فقد كان الاوفق له الا يدوَّن جندياً والافضل الا يتوانى في كرامة الملك بعد ان صار مدوناً برسمه وخدمته وما الحاجة الى الكلام عن ملك نازح عنا بل يجب ان نهتم بامر نفوسنا وكرامة الملك السماوي ولعل سامع كلامنا يقول كيف استطيع ان اكون في العالم

وفي وسط اموره والتخلص من شروره · فاجيبه ايها الانسان اروم ان اريك بلفظ وجيز ان ليس المكان الذي يخلّص بل جودة الطريقة وتقويم السيرة هما سبب خلاصنا فقد كان ادم في الفردوس كأنه في الميناء وتكبد غرقاً وكان لوط في سادوم كانه في اللجة وتخلص ناجياً · وقد كان ايوب في المزبلة وزكي · وشاوول في عز المملكة فسقط وخاب مما هنا وهناك من من حسن الحظ ونفي · اليس احتجاجك باطلاً اذ تقول است استطيع ان اكون في العالم واتخلص سالماً

ولقائل يقول فمن اين تتولد هذه المحذورات فاقول لان بعضكم لا يلتئمون في الصلوات الجامعة ولا يحضرون في القداسات الالهية حضوراً متصلاً او ما تبصر الذين يريدون ان يستمدون من الملك الارضي مراتب ووظائف كيف يداومون حضورهم لديه وكيف يستنهضون غيرهم الى سواله حتى لا يفوتهم مطلوبهم

فهذه الاقوال قد عذلنا بها الذين يتخلفون عن القداسات الالهية وسبيلنا ان نخاطب الذين يتشاغلون بالاحاديث والاقوال الباطلة في المائدة الرهيبة السرية فنقول ايها الانسان ماذا تعمل اما وعدت الكاهن عند قوله ينبغي لنا ان نضبط في العلو عقولنا

وقلوبنا وقلت ها هي عند ربنا · اما تخجل ان تكون في تلك الساعة الرهيبة كاذباً · ما اعظم التعجب من هذا الامر اما تخشى عندما تكون المائدة السرية منصوبة وحمل الله من اجلك مذبوحاً والنار الروحانية من المائدة الطاهرة فائضة والكاروبيم واقفين والسار وفيم طائرين واصحاب الستة اجنحة ساترين وجوههم وجميع القوات التي لا اجسام لها مع الكاهن من اجلك مستشفعين والنار الروحانية منحدرة والدم من الجنب الكريم الطاهر متفرغاً في الكاس لتطهيرك اما تخجل ان تكون في تلك الساعة الرهيبة كاذباً

الجمعة في ساعاتها مماية وثمانية وستين ساعة وقد افرز الله جل ذكره ساعة واحدة في النهار لتحضر فيها القداس فتصرفها في الاشياء العالمية والضحك المذموم وتفنيها في الاحاديث الباطلة باية دالة و باي عقل مدنس تتقدم بعد ذلك الى الاسرار المقدسة فلو حملت بيدك زبلاً هل كنت تجسر ان تلمس بها هدب ثوب ملك ارضي لا لا اصدق ذلك اصلاً

لا تنظرن الى انه خبز فانه ليس من شانه ان ينفذ نفوذ باقي الاطعمة معاذ الله ولا يخطرن هذا ببالك اصلاً فكما ان الشمع اذا لامس النار لا يتجوهر جوهراً واحداً ولا يفضل منه شيء

هكذا تصور الفعل هاهنا خارجاً اذ الاسرار الالهية من شانها ان تتصرف في طبيعة الجسم تصرفاً فائقاً · فلذلك اذا تقدمتم لتتقربوا فلا يكن اعتقادكم اعتقاد من يتناول الجسد الالهي من انسان لكن اعتقاد من يتناول الجسد من السارافيم انفسهم بالكلابة النارية التي رآها اشعيا النبي وعلى هذه المثال نستمد دم المخلص استمداد من يلامس بشفتيه جنبه الالهي الطاهر ينبوع الحياة ·

فسبيلنا يا اخوتي الا نتخلف عن الكنائس ونهجرها ولا نشغل انفسنا بالاحاديث فيها بل ينبغي ان نقف خائفين مرتعدين ويكون الناظر منا مطرقاً الى اسفل والنفس شاخصة الى فوق ونتحسر في قلوبنا ونترنم بصوت لا يبدو انما رايتم الواقفين لدى الملك الارضي كيف لا يتحركون ولا ينطقون ولا يهتزون ولا يجولون بالحاظهم الى الجهات التي حولهم بل يقفون مرتعدين مرتاعين فاقتبس منهم ايها الانسان توبيخاً تعذل به نفسك دائماً وتؤدبها به واسالكم ان يكون وقوفنا على هذا المثل لدى الله القادر القوي كوقوف الواقفين قدام الملك الارضي ·

ولعمري اننا نحتاج ان نقف بخوف شديد جداً قدام الملك السماوي وهذه الاقوال دفعات كثيرة اعيدها عليكم الى ان ابصركم قد اصطلحتم وليكن حالنا اذا دخلنا الى الكنيسة حال

الداخل ليرضي الله جل اسمه ولا يكن في النفس منا حقد قاتل لئلا نكون اذا صلينا ندعو على انفسنا عند قولنا اغفر لنا على نحو ما غفرنا نحن لمن اذنب الينا ولعمري ان هذا القول الذي نقوله يريع قائله ويشبه ان يكون قائل هذا القول يصيح بهذا اللفظ الى الله يا سيدي قد صفحت فاصفح لي قد حللت عقال خصمي فاحلل عقالي قد سمحت فاسمح لي وان مسكت الذنوب على رفيقي فامسك ذنوبي عليّ وان كنت ما حللت لرفيقي ما اخطى به اليّ فلا تحلل خطاياي وبالكيل الذي كات انا به ابتهل ان تكيل لي بالسواء

فاذا عرفنا هذه الالفاظ ومعانيها وتذكرنا يوم القيامة الرهيب والنار الدائمة وكنا في عقلنا العقوبات المحرقة ينبغي لنا ان نرجع عن طريقنا المظلمة لانه ستاتي ساعة ينحل كل هذا العالم ولا يكون بعد ذلك من يجد سبيلاً الى المجاهدة ولا يتجه بعد عبور العالم لمن يريد ان يتجر وجهاً الى المتاجرة ولا يصادف بعد انحلال هـذا المشهد سبيلاً الي الاكاليل. هذا الوقت وقت التوبة وذلك الوقت وقت الحكومة . هذا الزمان زمان الجهادات وذلك الزمان زمان التاجات. هذا الاوان اوان التعب وذلك اوان الراحة . هذا الوقت وقت العمل وذلك

الوقت وقت المكافاة فاسالكم ان تكونوا مستيقظين وبسمع هذه الاقوال نشيطين · قد عشنا للجسم فسبيلنا الان ان نعيش للروح · قد عشنا في اللذات فينبغي ان نعيش الان في الفضائل · قد عشنا في التواني فسبيلنا ان نعيش الان في التوبة والنشاط

ما بالك ايها الانسان تتشامخ ولمَ تعظم ذاتك وماذا تؤمل من شرف العالم وغناه · اطلب اليك ان تخرج الى المقابر فتبصر ما هناك من الاسرار فترى طبيعتنا متفسخة وعظاماً ماكولة واجساماً مهترية وان كنت ناطقاً حكيماً فاوضح ما تراه وان كنت عاقلاً فقل لي من هو الملك هناك ومن هو العامي ومن هو الشريف الحسب ومن هو العبد ومن هو الحكيم ومن هو الجاهل واين الحسن الشبيبة هناك واين الوجه المسرور واين الاعين الحسنة صورتها واين الانف الاقني واين الشفاه اللمياء واين محاسن الخدود واين الجبهة الصقيلة اليست كلها ترابا او ليست كلها رماداً او ليست كلها دوداً ونتناً او ليست كلها جيفة

فاذا فهمنا يا اخوتي زوال هذه الاشياء الخادعة وتذكرنا ساعتنا الاخيرة فسبيلنا ان نرجع عن طريقنا المظلمة وقد اشترينا بدم كريم اذ لهذا السبب ظهر الهنا في الارض ومن اجلك ايها الانسان ظهر الاله بالارض ولم يكن له موضع يسند اليه راسه

فيا لهذا العجب البديع امره؟ القاضي اتى الى مجلس القضاء والحياة ذاق الموت والجابل لطمته جبلته ومن لا تراه السارافيم بصق عليه عبده وذاق خلاً وعلقماً ونخز جنبه ووضع في قبر وانت ايها الانسان تتوانى وترقد ٠ قل لي اما تعرف انك لو اهرقت من اجله دمك لا تكون استكملت على هذه الجهة كل ما يجب عليك اذ كان دم السيد غير دم العبد فسابق الى التوبة قبل خروج نفسك لانه عند مجي الرب تبطل جميع اعمال التوبة لان الاقتدار على التوبة يكون في الارض فقط واما في الجحيم فلا سبيل اليها ٠ فينبغي لنا ان نبتغي ربنا ما دام الوقت ويمكننا ان نعمل العمل الصالح بحسب طاقتنا لنتمتع بالحياة الحاضرة وننال الخيرات الخالدة بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي له المجد والعز والوقار الان وكل اوان والى ابد الدهور امين

﴿ ميمر ﴾

قاله ابينا يوحنا فم الذهب على العشاء السري والمائدة الفصحية
وغسل ارجل التلاميذ يوم خميس الكبير

اسمعوا ياأحبائي واخوتي واحباء المسيح انظروا اي فرح حصل لنا واية مسرة صارت لنا واية غبطة فزنا بها في مثل هذا اليوم وتلذذوا فيما تسمعون وتمتعوا بما تنظرون فان اله الخليقة يريد ان يقدم لنا مائدة سماوية تملأ الارض كلها يريد اليوم سيدنا ان يقوم فيخدمنا و يشد حقويه ويكرمنا كرامة السرور والفرح التي لا يقدر فم بشري ان يمتدح نعتها اويخبر بعظمها · اليوم يذبح العجل المسمن · اليوم يذبح العجل المعظم · اليوم يذبح حمل الله الحامل خطايا العالم · اليوم يفرح الاب السماوي بخلاص امته · اليوم يكون الابن ذبيحة لنا بمشيته اليوم يتمم روح القدس الذبيحة · اليوم يتوجع ربنا ويقرب مخلصنا ذبيحة نقية عنا لابيه

ولقد تقدم سليمان الحكيم فقال على هذا اليوم ان الحكمة بنت لها بيتاً وشدته بسبعة من الاعمدة وذبحت ذبائحها ومزجت في كاس خمرها واعدت مائدتها وبعثت عبيدها ينادون باصوات عالية قائلين من كان جاهلاً فليات مصغياً الي ومن كان

عادماً للعقل فليدخل الي وقالت هلموا كلوا خبزي واشربوا خمري الذي مزجته لكم واتركوا الجهالة لتعيشوا واطلبوا الفهم اتبقوا واثبتوا بالمعرفة والفهم لتلبثوا (ام : ٩) فهذا القول كله وماشا كله يتم اليوم وهذه النبوة اليوم تصير لكم لان الذي بنى له هذا البيت بغير يدين هو حكمة الاب اتخذ له وصنع جسداً مثل الخبز والخمر فيا عجباً لهذا التدبير العظيم ويا عجباً لهذا الاتضاع الفائق على الرفعة ويا عجباً لهذه الرحمة الواسعة ان الخالق صار طعاماً لخليقته والباري صار طعاماً لجبلته طعام سرور ونعيم للحياة الابدية٠

قال تعالوا كلوا خبزي واشربوا كاسي الذي مزجته لكم اذ هيأت نفسي ماكلاً ومشرباً بارادتي وصرت لكم طعاماً للحياة الابدية وشراباً لمغفرة الذنوب انا كلمة الاب وحكمته الازلية ذوقوا وانظروا وتعلموا اني انا الرب الطيب الصالح ؛

مدّ آدم يده واكل قبل الوقت ومات بالمعصية فمدوا انتم الان في هذا الوقت ايديكم وكلوا ثمرة الحياة بالطاعة لتحيوا الى الابد اطلبوا الحكمة التامة لتحيوا فمن كان جاهلاً فليمل اليّ ويا كل ويشرب ذوقوا وانظروا اني انا الرب الطيب اني انا الاله الاول وانا الاخير وليس اله سواي انا الاله من الاله انا في الاب والاب

فيَّ وانا والاب واحد ومن رأَني فقد رأَى الاب انا هو القيامة والحياة انا خبز الحياة الذي نزل من السماء واعطى الحياة للعالم ومن يقبلني كما يقبل معجن الخمير للخميرة فلن تفوته الحياة ابدًا وانا كرمة الحق فاشربوا من خمر كرمي المفرح الذي مزجته لكم لان كاسي يروي بالفرح · هانذا قد اعددت لكم مائدة مقابل الذين يحزنونكم كلوا الخبز الحي الذي يجدد طبيعتكم واشربوا خمر الحياة الدائمة كلوا الخبز الذي يحلي مرارة الطعام الاول وخذوا هذا الدواء لطبيعتكم التي كانت قد بليت وانا قد صرت من اجلكم مثلكم من غير ان انتقل عن مجدي الاول الازلي لكي تكونوا شركاء اللاهوتي وتتبدلوا التبديل الشريف وارتفعوا من العالم الى العلاء ومن الجسد الى الروح · انا صرت كرمة الحق لكي تسأَلوني ثمرة طيبة بعرف طيب فارضعوا من ثدييَّ اللذيذين انا الرب الذي اعطي الطعام لجميع البشر اما هذا فليس هو لكل بشر ولكن هو حياة للذين يخشوني كما قال داود النبي الرب الرحوم الرؤوف اعطى طعاماً للذين يخافونه

يا عجباً ان الجالس على الكاروبيم يتكي هاهنا على العشا وفيما التلاميذ يأكلون و يشربون اخذ الرب يسوع خبزًا و كسر واعطى تلاميذه وقال لهم خذوا كلوا هذا هو جسدي · ثم اخذ بعد ذلك

كاساً وشكر وناولهم وقال لهم اشربوا هذا هو دمي لعهد
جديد الذي يسفك عن الكثيرين لمغفرة الخطايا (تو: ٢٢)
يا عجباً لهذا السر الشريف الذي اخبرنا عنه الكتاب وتم بالزوح في
صهيون لانه قد قال النبي من صهيون يخرج الناموس والنعمة
(اش ٢ : ٣)فقد راينا السر العظيم قد راينا السرور والفرح الدائم
قد راينا العجب المعجب ٠

ثم انه بعد ان قام عن العشاء ترك ثيابه واخذ ايزاراً واتزر
به وصب ماء في طشتٍ وبدا يغسل ارجل تلاميذهُ ويمسحها
بالايزار الذي كان متزراً به فاي عجب اعجب واعظم من هذا
واي تحير مثله يا عجباً ان الذي تردى بالنور مثل الرداء اتزر
بايزار يا عجباً ان الذي وضع الماء في السحاب وختم العمق باسمه
الرهيب ها قد اتزر بالازار يا عجباً ان الذي جمع ماء البحر
مثل الزق وختم عليه بالرمل ها هو يصب ماء في اناءٍ يا عجباً
ان الذي سقف بالمياه علاليه يغسل بالماء ارجل تلاميذه يا
عجباً ان الذي بسط السماء بذراعه وضبط الارض بيمينه غسل
ارجل تلاميذه ٠ يا عجباً ان الذي تنحني له ركب كل من في
السماوات والارض وما اسفل يحني ركبتيه ليغسل ارجل تلاميذه
فقد نظرت الملايكة هذا العجب فحارت فابصرت السما هذا

الامر فبهتت والتفت الناس فارتعدوا وارتاعوا

ثم اقبل سمعان بطرس فقال له يا رب انت تغسل رجلي الاتعلم اني حين سجدت على رجليك قلت لك اخرج عني يا رب فاني رجل خاطي (لو ٥ : ٨) فمن انا حتى اتجاسر على مثل هذا الان اليست طبيعتي مرتعشة من هذا لا تثقّل على عبدك ايها السيد وارثِ لي يا رب لاني لست اهلاً لان ادعى لك عبدًا فكيف تريد ان تغسل انت رجلي لا كان لي ان تغسل لي رجلي ابدًا . اني اتحير وافزع كيف الاله يخدم وكيف السيد ينحني للعبد والنقي للوسخ . ارث لي يا رب .

فاجاب الرب قائلاً لبطرس لست تدري يا بطرس ما اصنع انا الان وستعلم بعد هذا فاترك الان ان يتم هذا الامر وكن اهلاً لهذه الخدمة والا فليس لك معي نصيب .

فلما سمع بطرس هذا الكلام من سيده اعاد الجواب قائلاً للرب الويل لي يا رب فقد حرت وضاقت بي كل ناحية الان الاله يغلب بامره والعبد يضاد ويقاوم الله اما انا فاني امتنع واما انت فتصبر واحتمل هذا الامر واصنع ما تهواه يا يا سيدي واعمل يا رب ما قمت لاجله حتى يكون لي النصيب معك لا تغسل رجلي فقط بل يدي وارسي وانا اطلب منك في هذه الساعة

وارغب اليك ان تغسلني لكيما لا انقص من نعمتك الالهية ولا اخسر نصيبي والغبطة الرفيعة الفاخرة معك ·

فلما غسل السيد ارجل تلاميذه على مثل هذا اتكى وقال لهم علمتم ما صنعته بكم وانتم تدعونني الرب والمعلم ونعم ما تقولون فاذ انا الرب والمعلم وقد غسلت ارجلكم فانتم الان ملتزمون بغسل بعضكم بعضاً كما صنعت انا بكم فتشبهوا بي انا ربكم وشاركوني بهذا لكيما تكونوا شركاء لي في هذه الطريق الشريفة المرضية قد تواضعت لكم قديماً وانحنيت واخذت تراباً من الارض وصنعت الانسان وخلقت روحه فيه وجعلته ناطقاً وهنذا الان قد انحنيت ونقيت رعيتي وخليقتي من وسخها القديم انا الذي وضعت العداوة بين الطاغي والذي انطغى ليرصد احدهما العقب ويرصد الاخر الراس وجعلت للرجلين قوة لتدوسا التنين بالعقب ولا تخدعان في السبيل المستقيم هنذا قد صيرتكم تدوسوا روس التنانين والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شي وان شربتم سم الموت فلا يضركم انا الرب اله الذي اعطي النعمة للمتواضعين واقصي المتعظمين فكل من يرفع نفسه يوضع ومن واضع نفسه يرفع الان اوصيكم ان يحب بعضكم بعضاً فبهذا يعلم الكل انكم تلاميذي اعني ان كان لكم حب لبعضكم

بعضاً وهذه هي وصيتي لكم (يو : ١٣) فالزموا في كل حين السلامة والحب وليكن لكم بي السلام ومن يكرمني يكرم ابي ومن حفظ قولي فانا وابي نصنع عنده مسكناً الى الدهر ٠ فنحن نسال ربنا يسوع المسيح ان يجمعنا جميعاً في ملكه اذ ياتي في مجيه الثاني ليكافي كلاً منا بما عمله ويقيمنا عن يمينه في يوم ظهوره ودينه ويسمعنا ذلك الصوت اللذيذ قائلاً هلموا الى فرح سيدكم لترثوا الملك المعد لكم من قبل انشا العالم ولثالوثه الموحد ووحدانيته المثلثة يجب المجد والقدرة والوقار الان وكل اوان والى دهر الداهرين امين ٠

فهرس

وجه ٩ المقالة الاولى

تتضمن بيان كون باسليوس اخص اصدقاء فم الذهب واتفاقه معه في كل شيء — اختلاف رايهما في ممارسة العيشة الرهبانية — ثم اتفاقهما على اتمام ذلك — ملاطفة والدة فم الذهب ومنعها اياه عن ذلك — انتدابهما للاسقفية — الحيلة التي فعلها فم الذهب لرسامة باسيليوس — عتاب باسيليوس له عليها — اعتذار فم الذهب الى من شكا منه هربه من تقلد الكهنوت — وموضوع الكتاب والباعث على تاليفه

٣١ المقالة الثانية

عنوانها ان الكهنوت لامارة عظمى وعلامة كبرى على محبة المسيح — وان خدمته لاشرف الخدم وانه مفتقر الى نفس كبيرة وعجيبة وهو مملو صعوبة وخطرًا — اننا انما ابتعدنا هاربين من هذا الامر من جراء محبة المسيح — برهان على فضيلة باسيليوس وفرط مقته — في اننا ما انهزمنا من حكم من شاء سيامتنا امتهانًا لهم — وفي اننا قد عفيناهم بهربنا من ملامة عظمى

٥٣ المقالة الثالثة

ان الظانين باعتفائنا انه كان لابهة وكبرياء ساء ظنهم — في اننا ما هربنا طالبين لمديح باطل — في انه لو كنا نوثر المجد لكان الاخلق بنا ان نتقلد هذا الامر — في ان الكهنوت امر رهيب مفزع وان خدمة العهد الجديد لاشد فزعًا من خدمة العهد العتيق بكثير — في ان كرامة

الكهنة وسلطتهم كثيرة وعظيمة — في ان الكهنة هم خدام منح المسيح العظيمة — في ان بولص لما نظر الى عظم هذه الرئاسة تفاقم جزعه — في ان من يبرز الى الوسط ولا يكون جلدًا شجاعًا يهفو في كثير من الامور — في ان المديح الباطل يقتنصه باشراكه — في ان الكهنوت ليس سبب هذه المصاعب بل فشلنا وتكاسلنا — في انه ينبغي لا يكون في نفس الكاهن محبة الرئاسة

١٠٥ المقالة الربعة

مضمونها ان ليس للساعين لهذه الخدمة المقدسة حظ فيها — وان المصطبرين على الاغتصاب يعاقبون عقابًا شديدًا — في ان المشرطين لغير المستحقين يعاقبون عقابًا متساويًا ولو كانوا يجهلون امور الذين شرطنوهم — في ان الكاهن به حاجة لان يكون قويًا في الخطاب والمحاورة — في انه يجب ان يكون متاهبًا لمجادلة الكل من الصابئة واليهود والهراتقة — في انه ان يجب يكون بارعًا في علم الجدال اكثر من غيره — في ان المغبوط بولس قد اتقن هذا الامر اتقانًا بايغًا — في انه اظهر براعته في الخطاب اكثر مما باجتراح الايات — في انه يروم منا اتقان هذا العلم — في انه متى لا يكون الاسقف مجملاً بهذا العلم بلازم الضرورة يخسر من اتباعه خسرانًا مبينًا ·

١٣٧ المقالة الخامسة

مضمونها في ان المحاورة التي تقال في الملا مفتقرة الى تعب كثير وجد شديد — في ان المرتب لذلك يليق به ان يزدري بالمدائح — يجب يكون قديرًا على الخطاب — في انه متى لم يمتلك هاتين المنقبتين لا

تنتفع به الجماعة = في انه يحسن به جدًا اطراح الحقد — في ان العارف باقسام الكلام والخطاب به حاجة الى الحرص الزائد باكثر من الجاهل العديم العلم — في انه لا ينبغي ان يتهاون بحكم الجمهور ولا يتعلق به كثيرًا — في ان مؤلف الاقوال يجب ان يكون نظره الى ما عاد لمرضاة الله تعالى — في انه ان لم يزدر بالمدائح يكابد اهوالاً كثيرة

١٥١ المقالة السادسة

في ان خطايا الشعوب تلحق بالكهنة وطائلتهم عليهم — في ان الكهنة محتاجون الى تنقير اكثر من الرهبان — في ان الراهب يتمتع براحة اكثر من التقدم في البيعة — في ان الكاهن قد اوتمن على الاهتمام بجميع المسكونة وعلى امور اخر رهيبة — في انه يجب على الكاهن ان يكون لبقًا قادرًا على القيام بكل اموره — في ان الانفراد ما هو دليل على الاصطبار مثل التقدم على الجماعة وتدبيرها — في ان نسك من كان منفردًا ومن كان مترددًا في العالم ليس بالسواء — في ان الذين قد انفردوا بنفوسهم يتقنون الفضيلة باسهل من الذين يهتمون بالكثيرين — في انه لا يجب اطراح ظنون واقوال العامة ولو كانت كذبًا — في انه ليس بعظيم ان يخلص الانسان نفسه — في ان العقاب عن آثام الكهنة اعظم من عقاب آثام العوام — في ايراد مثلات وانموذجات على ان حرب الشيطان اصعب من جميع الحروب — ان توقع الكهنوت سبب الخوف والرعبة والعذاب

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطا	صواب
٩	١٥	اللذين	للذين
٣	١٠	انفق	انفق
٢٨	٩	يجد	تجد
"	١٦	نخدع	انخدع
٣٦	١٠	راؤه	رأوه
٤٣	٣	والى	الى
٤٦	٢	بافعالى	بافعالي
"	١٤	المسيح	المسيح
٥٠	٤	كبرياء	كبراء
٥٣	١٧	شاؤ	شاءوا
٥٦	١٠	الا	لا
٦٠	١٣	نقول	يقول
٨٠	٢	كان	وان كان
"	٣	والاتعاب	الاتعاب
٨٤	٢	للرياسة	لرياسة

٨٦	١	قيهما	فيهما
″	١٦	تفرق	فرق
٨٨	٨	الشرور	الشرور
″	″	نعجب	يعجب
٩٤	١٦	مضبجه	مضجعه
١٠٣	١	حتة	حجة
١١٠	٣	خطيئتة	خطيئته
١١٢	٣	يل	بل
١١٩	١٠	الظوباون	الطوبان
١٤٤	٦	لحسن	الحسن
١٤٧	١٦	يبنذ	ينبذ
١٤٦	١	لامر	الامر